سلسلة التفكير الناجح ١

كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب

وحكم الضرب المدرسي

من وجهة النظر الفقهية والتربوية

محمد نبيل كاظم



دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

سلسلة التفكير الناجح [١]



كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب؟

وحكم الضرب المدرسي
من وجهة النظر الفقهية والتربوية

تأليف
محمد نبيل كاظم

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثالثة
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

كاظم ، محمد نبيل
كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟ : وحكم الضرب المدرسي من وجهة النظر الفقهية والتربوية / تأليف محمد نبيل كاظم . - ط٣ . - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٦م .
٢٠٠ ص ؛ ١٢ × ٢٠سم .
تدمك ٣ ٣٦٠ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - الأولاد - علم نفس . ٢ - التربية الإسلامية .
أ - العنوان .
١٥٥,٤٣٢

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

حـديـث الـرفـق : قـال رسـول اللّه ﷺ : « يـا عـائـشـة إن الـلّه رفـيـق يحـب الرفـق ، ويعطـي على الرفــق مـا لا يعطـي على العنـف ، وما لا يعطـي على ما سـواه » [رواه مسلم] .




الإهداء

إلى والدي اللذين منحاني محبة العلم والدين والنـاس ، وإلى زوجتي التي صبرت عليَّ في دراستي وغربـتي ، وإلى ولدي حسان ، الـذي وضع العالم ومكتباته بين يدي عبر الحاسوب والإنترنــت .

* * *

وإلى باقي أولادي الذين سأهدي لكلٌ منـهم - إن يسر اللّه لي - كتابًا يسد باب جهل ، وينير نافذة علم وطريـق هداية .

* * *

وإلى جميع أساتذتي وزملائي ، أهديـهم شـكري عرفانًا بكل جميـل .

* * *




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أقرأ **الإنسان بعد أمية** ، وعلمه بعد جهل ، وهداه بعد ضلال ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، معلم الناس الخير القائل : « **إنما بعثت معلمًا** » [1] .. وبعد .

هذه محاولة بحث في نظرية الجزاء التربوي ، من وجهة النظر الإسلامية ، لتطبيقها في حقلي الثواب والعقاب التربويين ، لتدعيم العملية التربوية في تنشئة جيل واع ، بعيد عن غشاوة الشعور بالرُّهاب الأسري والاجتماعي والمدرسي .

في البداية لا بد من متابعة طفل الإنسان التلميذ ، في مراحل تكوينه ووجوده الأولى ، لاستكشاف قاعدة رئيسة ، تشكل مرتكزًا محوريًّا لموضوع بحثنا ، تقوم عليها أركان النظرية المطلوب صياغتها .

منذ اليوم الأول لخروج الإنسان الطفل إلى الحياة ، نجده يستقبل ضيق المخرج وألم معاناة التحول بالبكاء ، ريثما يجد دفء صدر أمه ولبنها ، ولطف اليد الحانية وهدهدتها ، يستقبل هذا الأمان بالبسمة والرضى والمناغاة والبشاشة ، وهذا يدل على أن الإنسان له رد فعل مباشر منذ لحظة

---

(١) رواه ابن ماجه .

ميلاده ، على الشعور باللذة والألم .

ومن ناحية أخرى ، نجد أن انفصال الطفل عن أمه شعوريًّا في الجانب النفسي متأخر عن انفصاله عنها ماديًّا وجسديًّا ، فلا يكاد يشعر بأنه شخصية مستقلة عن العالم وأمه ، إلا بعد أكثر من سنة ، حيث يدرج إلى الأشياء ، ويختبئ خلفها ، مما يؤكد لنا في بحثنا هذا ، أن التعامل المادي المجرد ، ينبغي أن يكون في مرحلة متأخرة ، عن التعامل المعنوي النفسي الوجداني ، اللَّهم إلا إذا كان ذلك مجرد وسيلة وأداة لتحقيق الأغراض الوجدانية ، ويمكننا أن نسلط الضوء في هذا ، على قصة طفولة نبي اللَّه موسى عليه السلام ، حينما رفض لبن أية امرأة ، على اعتباره أنه مجرد لبن ، في حين قَبِلَ وأقبَل على لبن أمه ، قال تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ... ﴾ [القصص : ١٢] ولئن كان ذلك معجزة له ، فإنه من المؤكد أن لبن أية امرأة حانية الصدر بعد الأم ، خير ألف مرة من لبن الزجاجة .

وبعد هذه المقدمة نختمها بالقول ، بأن طفولة الإنسان إلى سن البلوغ والرشد ، ينبغي أن توضع في إطار من التنشئة على طيب الطعام كما في تحنيك المولود بالتمر والرطب ، وطيب الكلام كما في الأذان والإقامة على مسمع أذنيه ، منذ اليوم الأول لميلاده (١) .

(١) الأذكار للإمام النووي .

وبهذا وذاك ، يُغذى الجانبان الروحي والمادي فيه ، بأطهر وسيلة وأطيبها ، ونعلم أن الأشجار لا تقلم إلا بعد بلوغها مرحلة الإثمار والعطاء ، فكذلك الطفل ، ليس من أهل التكليف شرعًا ، وإنما هو من أهل التأديب والتعليم ، وبالتالي ليس من أهل الثواب والعقاب بالمعنى الأعم ، إلا بشكل محدود في إطار التهيئة والتربية ، إلى أن يبلغ سن الرشد ، وهذه المرتكزات تشكل عناصر بحثنا للنظرية المطلوبة ، وبالله التوفيق .

محمد نبيل كاظم



كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟

الفصل الأول

الجزاء التربوي

أولا : الثواب والعقاب حاجة إنسانية .

ثانيا : تنوع لا اختزال في الجزاء المدرسي .

ثالثا : العقاب وسيلة كف للموقف السلبي .

رابعا : تعزيز المواقف التعليمية بالجزاء .

خامسا : الضرب وسيلة في نظرية الجزاء .

سادسا : التأديب في الفقه الإسلامي .

سابعا : النظام أساس نظرية الجزاء .

ثامنا : التربية أساس العلاج .

« إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »

[رواه مسلم عن عائشة] .





الفَصْلُ الأوَلُ

الجزاء التربوي

أولًا : - الثواب والعقاب حاجة إنسانية :

إن الإنسان بطبعه محتاج إلى الثواب ، لتأكيد الشعور بلذة الصواب ، وتعزيز أثره الجالب للفرح النفسي والرضى الاجتماعي ، وهذا الأثر يظهر من خلال الشعور بالفوز والنجاح ، ولو حللنا هذا الشعور ، لوجدنا أن من مؤثراته نظرة الإعجاب الاجتماعي ، من قبل الأب والأم والآخرين ، والمعلم أقرب الآخرين إلى التلميذ بحكم أبوته التعليمية ، في تقديم هذا الثواب إلى التلميذ ، لتدعيم الموقف التعليمي يوميًّا .

ولا يُظن أن الثواب أمر ثانوي ، أو نافلة من نوافل العمل التربوي ، لأننا لو فعلنا ذلك نكون قد أسقطنا الفرح النفسي ، والشعور بالرضى الداخلي لدى المتعلم من الحسبان ، وبهذا نحكم على الموقف التعليمي الجيد للتلميذ بالبوار والفشل ، لأنه لا نجاح بلا رغبة ، ولا رغبة بلا فرح ولذة ورضى وسرور ، وهذه الأمور لا تعني إحساسات مادية ، بقدر ما هي مشاعر نفسية يحققها الشعور بالثواب الدال على تحقق الأمان الداخلي والأمن الخارجي ، حتى ولو افترضنا ذلك على المستوى الشعوري ، يقول شمس الدين الإمبابي : « مهما ظهر منه خلق جميل وفعل محمود ، فينبغي أن يُكرَم

عليه ويجازى عليه ، مما يفرح به ويُمدح بين الناس » [1].

ثانيا : - تنوع لا اختزال في الجزاء المدرسي :

إن بشاشة وجه المعلم والمربي ، أو درجة عالية تسطر على الكراسة أو الاختبار ، أو كلمة ثناء ومديح كأحسنت ، وبارك اللَّه فيك ، وممتاز ، وجيد ... إلخ . أو كتابة اسم التلميذ في لوحة الشرف ، أو قطعة حلوى ، أو دهنة طيب ، تشكل أعظم ثواب وأفضل تعزيز ، للمواقف الإيجابية في العملية التربوية .

وبالمقابل فإن عبوس الوجه من غير حنق ، وازورواره بغير قسوة ، والدرجة الدنيا على الكراسة أو الاختبار- دون استخدام عبارة ضعيف أو وسط لأنها تكرس الضعف وتهدم ثقة التلميذ بنفسه- تشكل عقابًا وكفًّا للمواقف السلبية في العملية التربوية ، بل إن بعض المناهج التربوية في بعض الدول ، ألغت الدرجات التقويمية في تعليمها الابتدائي ، اكتفاء بالإشارة إلى الأخطاء أو تصويبها ، ليقيِّم التلميذ نفسه من خلالها ، دون تحديد ترتيبه بين زملائه رقميًّا ، وإن وَضَعَ المعلمُ هذه الدرجات لنفسه ، فإنها توضع في ملفٍّ سريٍّ لديهِ ، يطلع عليها أولياء الأمور حين اللزوم .

والاكتفاء بالإشارة إلى الأخطاء أو تصويبها ؛ ليكف

(١) كتاب الثواب والعقاب في التربية محمود ماهر زيدان (ص١١٣) .

التلميذ عن مسبباتها ، بتعديل سلوكه وتحسين موقفه التعليمي ، يعتبر عقابًا في مقابلة ما ذكرناه عن الثواب ، والأمر في كليهما يمكن أن يعتبر أرضية لنظرية الجزاء التربوي .

أما اختزال هذه الألوان من الثواب ، بدرجات الاختبارات التي تجرى في الشهر مرة واحدة ، مرفقة بكلمة ناجح ، واختصار ألوان العقاب ، بعصا تلسع اليد على أدنى همسة أو التفاتة أو خطأ ، لتكون الرفيق الذي لا يُنسى في الصباح والمساء ، في البيت والمدرسة على حدٍّ سواء ، فما أتعسه من جزاء عفَّ عليه الزمن ، وأُشرب كراهيته براءة الأطفال ودموعهم .

قال القابسي : « يغبط الصبي بإحسانه إذا أحسن ، في غير انبساط له ، ولا منافرة له ، ليعرف وجه الحسن من القبح » [1] ، ويقول ابن خلدون : « ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر ، وضُيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل ، وحُمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره .. وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له من حيث الاجتماع والتمدن .. فارتكس وعاد في أسفل سافلين » [2] .

(١) في رسالته رياضة الصبيان مخطوط بالقاهرة (ص٤٣٢) .

(٢) في مقدمته .

ثالثًا : - العقاب وسيلة كفٍّ للموقف السلبي :

ويجب التفريق في وقوع نتائج السلوك المدرسي ، تحت سلطة الجزاء ، أو الثواب والعقاب المدرسيين ، بين الموقف الخاطئ للتلميذ ، والموقف الخطأ .

إن أبناءنا فلذات الأكباد ، يَقدُمون المدرسة من أُسرٍ مختلفة وظروف بيئية متفاوتة ، ويحملون مؤثرات اجتماعية متنوعة ، وهذا كله يستدعي أن يضع المعلم نفسه موضع الأب الرحيم ، وموضع المربي الفاضل والقائد المحنك والطبيب الماهر ، الذي يُطمئن التلميذ السالك ، إلى حسن سيره ونظافة ملبسه وسلامة هيئته ، وصواب مواقفه وسلوكياته التعليمية ، ليرقى به إلى الأعلى والأفضل والأحسن ، ويعالج التلميذ المتعثر في هذه الأمور ، من خلال تشجيعه على نجاحاته واستجاباته السليمة ، وما أكثرها حتى لدى المتأخرين دراسيًا وسلوكيًا ، وكل هذا يدور في فلك التمييز بين الخطأ والصواب ، كأحد طرق التعلم والتعليم .

لكن الموقف الخاطئ تربويًّا ، والذي يحتاج إلى عقاب أو علاج أو كف ، هو سلوك من نوع آخر ، بعيد عن مجرد القدرات الدراسية ، إذ أنه يُشكل موقفًا تعليميًا وسلوكيًا سلبيًا وسلبيًا جدًّا ، وجانب التعدي فيه والتقصير ، والإخلال

بأمن التعليم كبير ، يقول القاضي حسن العشماوي : « العقاب لا يستعمل إلا لعلاج عدم المبالاة ، وعدم الاكتراث بمشاعر الغير وحقوقهم .. فإذا كان ذلك ضرورة ، فلنعلم أنه يتدرج في مراحل ، لا يجدر الالتجاء إلى واحدة قبل استنفاد ما دونها ، فالنظرة مؤلمة وقد تكفي ، والإعراض مؤلم وقد يكفي ، والكلمة القاسية مؤلمة ، والضرب مؤلم [بقدره] .. للإصلاح ضرورة يُلجأ إليه حين تُستنفَد جميع وسائل الإصلاح غيرها ، ويُحاط استعمالها كما يحاط استعمال كل ممنوع أباحته الضرورة ، بأقصى ما يمكن من الحذر والأناة »[1].

ومع هذا لا يمكن أن يساوى بين التلاميذ في العقاب على عدم المبالاة ، إلا في حالات خاصة ، لأنه لا بد من النظر إلى فوارق مسببات هذه السلبية لدى التلاميذ ، وفوارق أعمارهم ، خاصة إذا لم يثمر العقاب كفًّا عنها ، أو استجابة إلى علاجها ، فعندها لا بد من النظر في تنويع العقاب ، ومراعاة مناسبته للمسببات لدى التلاميذ ، فقد تكون أسبابها الخلاف الأسري ، أو الفقر المادي ، أو المرض الجسمي أو النفسي ، أو هيمنة رفقاء السوء في المحيط الاجتماعي ، أو ... إلخ . فيحتاج التلميذ (تلميذ المشكلة) إلى وقفة أبوية متأنية ، من معلمه أو المشرف

(١) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص١١) .

الاجتماعي ، أو مدير المدرسة إن احتاج الأمر ، أو التوصية به لدى تلميذ نجيب يثق به .

وغالبًا ما يقف مثل هذا التلميذ أو الطالب من العلاج ، أو العقاب السريع المختزل ، موقف الرفض ، فلا تتحقق منه النتائج المرجوة ، فينبغي أن تكون خطة علاج مثل هذه المواقف أو المشكلات ، مبنية على الملاحظة الدقيقة والعلاج المدروس ، والأبوة الحانية .

يقول القاضي حسن العشماوي : « أومن بأن حسن التوجيه بالتنبيه إلى الخطأ ، والإرشاد إلى الصواب أو التأديب ، يجب أن يكون قوامه الرفق الخالص من كل شائبة قسوة ، حتى في النظرة .. » [1] وعلم نفس الطفولة والشباب ، يخدم هذه الناحية خدمة كبيرة .

رابعًا : - تعزيز المواقف التعليمية بالجزاء :

إن الخلاف حول جدوى الضرب ، كوسيلة من وسائل الإصلاح التربوي المدرسي خصوصًا ، والإصلاح الاجتماعي الأسري عمومًا ، أوقع المدرسين خصوصًا والمربين عمومًا ، في إشكالية وسلبية مواقفهم من الثواب والعقاب ، كأحد أهم وسائل تعزيز المواقف التعليمية والسلوكية .

وذلك أنهم ظنوا أن إلغاء الضرب يعني إلغاء العقاب ،

(١) المصدر السابق (ص٣٠) .

وبالتالي إلغاء الثواب أيضًا ، فوقفوا موقفًا سلبيًّا من هذه المسألة ذات العنوان ، مع أن الأمر واضح كل الوضوح ، في ازورار المجتمعات الإنسانية عن الضرب ، كوسيلة تربوية معاصرة ، وهذا لا يعني إلغاء وسائل العقاب والثواب الأخرى ، الهادفة إلى تعزيز الموقف الصواب ، وكف الموقف الخطأ ، لأننا إن فعلنا نكون قد أسقطنا التفاعل النفسي سلبًا أو إيجابًا ، مع النجاح أو الفشل في جزئيات المواقف الحياتية والتعليمية ، وبهذا نحكم بالبوار والفشل ، على أي إزكاء للتفاعل الإنساني في الحياة ، وهل تنمو الحياة وتثمر بلا فرح أو حزن ؟ .

والدافع الإنساني من لذة وألم ، دافع أصيل في تيار الحياة المتجدد ، « لأن الثواب يشبع حاجات نفسية ، تحفز على التعلم ، وهو كالحاجة إلى تقدير الذات أو توكيدها ، وهو يعبر عن التقدير الاجتماعي ، شرط أن لا ينقلب إلى رشوة ، ولذا من المؤكد أن أعظم الثواب ما كان معنويًّا ، وحقق رضًا داخليًّا في نفس المثاب مع الحذر من التدليل المفرط »[1] .

ولهذا ينبغي على المعلم وهو صاحب رسالة وثقافة ، أن لا يخلط بين قضية إلغاء الضرب ، ومبدأ تعزيز المواقف التعليمية بالجزاء ، لأن غريزة الإحساس باللذة والألم ، أحد دوافع الحياة الفطرية ، وهذه تشكل تعزيزًا طبيعيًّا في

(١) محمود ماهر زيدان في كتابه الثواب والعقاب (ص١٨٨) .

استجاباتنا ، لمواقف الحياة سلبًا أو إيجابًا ، من اللحظة الأولى للإحساس بالحياة ، داخل رحم الأم ، إلى اللحظة الأخيرة المغادرة للحياة الدنيا .

إن كلمة ثناء حارة في موقف وطني أو نبيل ، كانت ولا زالت تدفع إلى استجابةٍ بطولية ، صانعةً تضحياتِ كثير من الأبطال عبر مراحل التاريخ ، في شتى مناحي الحياة وجوانبها ، في الحرب والسلم .

وبالمقابل فإن كلمة تأنيب مناسبة صادقة ، في مواقف مماثلة ، أو حتى على مستوى الحياة الجوانية الذاتية ، في تأنيبات الضمير ،كانت وما زالت تشكل ردة فعل إيجابية ، أو شدة لجام تكبح جُماح الاندفاع نحو الشر ، باتجاه انعطاف شديد نحو الخير والسلوك الصائب ، والعود الحميد نحو الطبيعة الإنسانية الرشيدة .

يقول صاحب كتاب زلات الوالدين : « التجارب تعلمنا أن منح المكافأة أو القضاء بالجزاء ، حسبما تدعو إليه إحدى الحالتين من حسن وقبيح ، يأتيان بالفائدة الجزيلة ، كما أنه لو أسيء استعمالهما ينتج منه الكسل والتجهم ، وتداعت أركان سلطتنا إلى الأبد ، ولا نجد في الكتب علم تأديب الصغار الحقيقي ، الذي يضمن النجاح » [١] .

---

(١) فيلكس توما (ص ٦٩) .

ولهذا وذاك : فإن إلغاء مبدأ الجزاء ، في المواقف التربوية أو تمييعه ، هدم عظيم الخطر ، وشرخ كبير الأثر ، في تقدم المجتمع الإنساني وتحضره ، والمجتمع المدرسي صورة مصغرة للمجتمع الإنساني الكبير .

خامسًا : - الضرب وسيلة في نظرية الجزاء :

وبما أن بحثنا يؤكد على المبدأ ، ويناقش في الوسائل ، نقول : إن الضرب جزء ضئيل من وسائل العقاب في نظرية الجزاء ، والذين يُتَبادر إلى أذهانهم ، أن العقاب هو الضرب ، ألغوا فكرة التأديب عمليًا ، من حيث ضيقوا واسعًا وهو التأديب ، ووسعوا ضيقًا وهو الضرب ، فحملوا الجزء على الكل ، وهو بعضٌ مقيدٌ بشروط ، ومحدد بأوصاف ، ومبرر بأحوال ، ومرتبط بآثار ، إذا ارتفعت ارتفع وألغي ، كوسيلة من وسائل العقاب والجزاء والتأديب ، في التربية والتعليم .

« والعقاب مدخل سلبي للتربية ، يقود إلى شخصية منهزمة ، تعيش في قلق وخوف ، وفشل ، .. وإن لجوءنا إلى استخدام الضرب مع الطفل ، دليل على فشلنا نحن الكبار في اختيار الوسائل المناسبة ، للوصول إلى نفس الطفل وتعديل سلوكه »[1] .

يقول القاضي حسن العشماوي : « إن العصا وجارح

(١) كتاب التدريس والصحة النفسية د . عمر بشير الطويبي (ص١٤٤) .

القول ، لا يخلقان إنسانًا صالحًا أبدًا ، قد يخلقان قردًا مدربًا ، تبدو في حركاته وسكناته مظاهر الأدب ، ولكننا نريد أولادنا بشرًا ، لا قرودًا » [1] .

ومن الناحية المبدئية ، فإن العقاب يتعارض مع الكرامة الإنسانية ، ومن يستشهد بآية النساء [2] في القرآن التي ورد فيها الضرب ، وحديث : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر** » [3] نسي أو غفل عن الأمور التالية :

١ - ردود على استخدام الضرب :

أ - أن الآية مرتبطة بنشوز المرأة الراشدة .

ب - أن الضرب في الآية مسبوق بمراحل متدرجة لازمة .

ج - أنه - أي الضرب - في الآية سلطة أدبية لا سلطة قضائية .

د - أنه حق مقيد وليس واجبًا .

هـ - أنه علاج نفسي ، وليس علاجًا ماديًا عضليًا .

و - أن الرسول ﷺ وهو القدوة ، لم يستخدمه قط [4].

---

(١) كتاب كيف نربي أولادنا .

(٢) الآية ٣٤ النساء .

(٣) رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٤) روى ذلك النسائي عن نيل الأوطار (٢١١/٦) .

ز - أن الرسول ﷺ وقف منه موقفًا سلبيًّا بقوله عن الذين يلجؤون إليه : « **ليس أولئك بخياركم** » [1] .

وجاء في رسالة رياضة الصبيان للشيخ الفقيه (شمس الدين الإمبابي) في كيفية ضرب الصبي :

٢ - شروط ضرب الصبي :

أ - أن يكون الضرب مفرَّقًا .

ب - أن يكون بين الضربتين زمن يخف به الألم .

ج - أن لا يرفع الضارب ذراعه لئلا يعظم الألم [2] .

د - أن لا يضرب المربي وهو غضبان : وذلك لأن النبي ﷺ نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان ، فكيف بمؤدب الأطفال ، أمر عمر بن عبد العزيز ﷺ بضرب إنسان ، فلما أقيم للضرب قال : اتركوه ، فقيل له في ذلك فقال : وجدت في نفسي عليه غضبًا ، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان .

هـ - أن ترفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى؛ لقول النبي ﷺ : « **إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم** » [3] ، ومثل ذلك فيما لو شعرت أن

(١) رواه أبو داود والنسائي .

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/٣٢٢) .

(٣) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري .

الطفل يخاف الضرب خوفًا شديدًا ، فيكون قد حقق أثره قبـل استعماله ، فلا حاجة إليه .

و - أن لا يضرب قبل السنة العاشرة ، وعلى رواية الترمذي بعد الثالثة عشرة : قال إسماعيل بن سعيد : سألت أحمد عما يجوز فيه ضرب الصبي على الصلاة ، قال : إذا بلغ عشرًا . وقال الأثرم [1] : سئل أبو عبد اللَّه عن ضرب المعلم الصبيان ، فقال : على قدر ذنوبهم ، ويتوقى بجهده الضرب ، وإن كان صغيرًا لا يَعقِل فلا يضربه ، ويمكن مدُّ هذه الفترة إلى ثلاث عشرة سنة من عمر الطفل لحديث أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : « **مروهم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لثلاث عشرة** » [2] .

ورأى القاضي شريح : ألا يُضرب الصبيُّ على القرآن إلا ثلاثًا ، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا يوم الغار .

ويروي الشيخ محمد الخضر حسين ، إحدى مشاهداته في الجامع الأزهر ، لمعلم كان لا يضع العصا من يده ، ولا يفتر أن يقرع بها جنوب الأطفال وظهورهم ، فخطب خطبة مقررًا الرفق بالصبي ، وعدم زيادة المعلم إن اضطر إلى ضربه على ثلاثة أسواط ، وتحذير المعلم من العصا اليابسة .

(١) عن الآداب الشرعية لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (١/٥٠٦) .
(٢) رواه الدارقطني (١/٢٣١) .

وعلى ضوء هذه المعطيات ، والآية الكريمة في لفظها ومنطوقها ، فإن من استعجل هذه الوسيلة ، دون التزام بما يسبقها من مقدمات وشروط ، أو أساء استخدامها ، مُنِعَها وحُرِمَ هذا الحق .

وقد ذُكر في معرض تفسير هذه العقوبة ، أنها لا تكون لأول مخالفة ، وإنما بعد تكرار المخالفة ، والإصرار عليها ، وبعد تطبيق مقدماتها : من نصح ووعظ وهجر ، مع الفارق في القياس وفي الاستخدام ، وحجة أصحاب هذا الرأي ، كما وردت في كتب الفقه ، في أحوال غير التلميذ ، أن الواو وردت للترتيب ، ويُشترط في الضرب ، أن يكون بقصد التأديب ، لا الحنق والتشفي والانتقام ، وأن يكون مما يعتبر تأديبًا .

يقول القاضي حسن العشماوي : « ويجب أن يخلص من كل شائبة حنق أو غضب ، .. وإلا أصبح انتقامًا أو تشفيًا أو احتقارًا ، أي أصبح جريمة ، لا عقابًا ، . . وينصح زوجته ، في تربية أولاده قائلًا : يجب أن تتذكري دائمًا أن (العقاب) سم قاتل ، فإذا استعملته للضرورة ، فليكن استعمالك إياه ، كاستعمال الطبيب للسم ، سواء بسواء » [1] .

ولا يجمع بين عقوبتين على مخالفة واحدة ،كأن يعاقب المعلم ، ثم الأخصائي ، ثم يُستدعَى ولي الأمر ، هذا يُخرج

(١) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص٣٤) .

العقوبة عن حد التأديب ، ولهذا يستخدم في العقوبة ، ما كان له أثر في الاستجابة والإصلاح والتعلم ، وإلا فلا ، « فسوء معاملة المدرسين وقسوتهم ، قد يجعل من المدرسة مثيرًا شرطيًا للألم والعقاب ، فيجد الطفل في الهروب ، الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق » [1] ، بالإضافة إلى أن حق التأديب بهذه الوسيلة ، مقيد بشروط السلامة .

سادسًا : - التأديب في الفقه الإسلامي :

جاء في كتاب التشريع الجنائي الإسلامي ، الفقرة (٣٥٨) من الكتاب :

١ - تأديب الصغار :

للأب الحق في تأديب أولاده الصغار ، الذين هم دون البلوغ ، وللمعلم أيًا كان ، مدرسًا أو معلم حرفة ، تأديب الصغار ، وللجدِّ والوصي تأديب من تحت ولايتهما ، وللأم حق التأديب - على رأي - إذا كانت وصية على الصغير أو كانت تكفله ، ولها هذا الحق في غيبة الأب ، وفيما عدا هذه الأحوال ، فليس لها حق التأديب ، على الرأي الراجح [2] .

---

(١) في كتاب أسباب جنوح الأحداث ت د. محمد سلامة محمد غباري (ص١٩٠) .

(٢) كتاب التشريع الجنائي في الإسلام / عبد القادر عودة . عن أحكام القرآن للجصاص (١١/٢) .

٢ - شروط تأديب الصغار :

وجاء في الفقرة (٣٥٩) من الكتاب نفسه ، ويشترط في تأديب الصغار ما يلي :

أ - أن يكون التأديب على ذنب فعله الصغير ، لا على ذنب يُخشى أن يفعله .

ب - أن يكون الضرب غير مبرح .

ج - أن يكون الضرب متفقًا مع حالة الصغير وسنه .

د - أن يكون الضرب بقصد التأديب ، وألا يسرف فيه .

فإن كان الضرب شديدًا بحيث لا يعتبر مثله أدبًا ، فالمؤدب مسؤول عنه جنائيًا [1] ، ويرى الشافعي أن المؤدب ضامن تلف الصغير ، وتلف أطرافه في أي حال ، لأن التأديب حقه ، وليس واجبًا عليه ، فله أن يتركه وله أن يفعله ، فإن فعله فهو مسؤول عنه .

ويرى أبو حنيفة وأصحابه ، أن المعلم والمدرس لا يضرب بغير أذن الأب أو الوصي ، وإلا يكون مسؤولًا جنائيًا عنه لأنه متعدٍّ ، حيث ضرب من لم يُؤذن له في ضربه ، وفي هذا يتفق مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، مع مذهبي مالك وأحمد في النتيجة ، ويفرق بعض الحنفية بين ضرب التأديب وضرب التعليم ، ويرون أن ضرب التأديب حق ، وأن ضرب

(١) المصدر السابق عن المغني (١٠/٣٤٩) .

التعليم واجب ، والأول مقيد بشرط السلامة ، والثاني غير مقيد [1] .

والتفرقة مقصورة على الضرب المعتاد : في الكم والكيف والمحل ، أما غير المعتاد : فموجب للضمان في الكل ، أي في ضرب التأديب وضرب التعليم [2] .

لكن معنى التأديب يختلط بمعنى التعليم في حالة الصغير ، لأن كل تأديب له ، يقصد منه تعليمه أكثر مما يقصد منه زجره [3] .

وفي دراسة لشروط المسؤولية من عدمها ، في ممارسة مهنة التطبيب ، ومن يلحق به كالبيطار والحجام والخاتن ، ومن في حكمهم مع الفارق ، كالمدرس والمعلم ورب المهنة ، يلاحظ أنه يشترط ما يلي :

٣ - شروط تحمل مسؤولية الضرب :

أ - أن يكون الفاعل مرخصًا .

ب - أن يأتي بالفعل بقصد العلاج ، وحسن النية .

ج - أن يعمل طبقًا للأصول الفنية لمهنته .

د - أن يأذن له المعالَج وهو هنا التلميذ ، أو من يقوم

(١) لعله في مدارس الجند أو المهن - المؤلف .

(٢) حاشية الطهطاوي (٤/٢٧٥) .

(٣) التشريع الجنائي لعودة (١/٥٢٠) .

مقامه ، كالولي أو الوصي .

ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، في كتابه قواعد الأحكام : « من أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد ، مع رجحان مصالحها على مفاسدها ، ضرب الصبيان على ترك الصلاة والصيام ، وغير ذلك من المصالح ، إشارة إلى حديث « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر** .. » [(١)] ، فإن قيل : إذا كان الصبي لا يصلحه إلا الضرب المبرح ، فهل يجوز ضربه ، تحصيلاً لمصلحة تأديبه ؟ قلنا لا يجوز ذلك .. لأن الضرب الذي لا يبرح مفسدة وإنما جاز لكونه وسيلة إلى مصلحة التأديب ، فإذا لم يحصل التأديب به ، سقط الضرب الخفيف ، كما يسقط الضرب الشديد ، لأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد » [(٢)] .

ولا يُلجأ إليه إلا إذا فشلت كل الأساليب الإيجابية الأخرى ، جاء في كتاب التدريس والصحة النفسية : « تحت عنوان شروط العقاب [(٣)] :

(١) أخرجه جماعة؛ منهم: أبو داوود برقم (٤٩٥) - والإمام أحمد - والحاكم - وفي كنز العمال برقم (٤٥٣٢٤) وغيرهم .
(٢) قواعد الأحكام لابن عبد السلام (١٢١/١) .
(٣) كتاب التدريس والصحة النفسية د . عمر بشير الطويبي (ص١٤٧) .

٤ - شروط العقاب :

أ - تجنب البدني من العقاب .

ب - بيان محبتنا للطفل المعاقب .

ج - السعي لإقامة علاقة مودة وتفاهم معه .

د - أن يكون مباشرة بعد التقصير ، لا بعده طويلًا .

هـ - واضحًا لا متذبذبًا .

و - بيان وتفسير أسباب المعاقبة .

ز - شرح الطريقة الصحيحة للسلوك السليم » .

سابعًا : - النظام أساس نظرية الجزاء :

جاء في كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال ، المقتبس من كتاب الطفل الطبيعي للطبيب المشهور إيلنغورث :

« إن تعويد الطفل النظام شيء أساسي في تربيته ، لأن التوجيه الحسن والنظام ، أساس التربية السليمة ، إذ يحتاج التلميذ إلى الحرية الكافية لإبراز شخصيته ، مع التكيف السليم في محيطه الاجتماعي ، لينمو متحملًا مسؤولياته ، فأصحاب السلطة في تربية الأولاد ، يجب أن يتمتعوا بالحزم واللطف والحكمة والتماسك في وقت واحد ، ليشعر التلميذ بالاطمئنان ، فنقص النظام وفقدان العاطفة ، له أسوأ الأثر في حياة الأبناء » [١] .

(١) الكتاب المذكور - (ص٥٣) ترجمة د . نبيه الغبرة .

فالذين لا ينقطعون عن تكرار : لا تفعل هذا ، لا تفعل ذاك ، نجدهم يطبقون وسائل العنف والقوة في تربية أطفالهم ، وليس المطلوب ترك الحبل على الغارب دون نظام وقواعد ، وإلا كان التلاميذ بين الإفراط والتفريط ، بل إن تعليم الطفل النظام ، يجب أن يتوافق مع دلائل المحبة والعطف ، حتى يستجيب التلميذ استجابة طيبة .

ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب تربية العائلة (زلات الوالدين) : « لا شيء أسوأ في تربية الإرادة كالإفراط في الملام والتوبيخ ، أو إثقال الواجبات ، لأن قتل الإرادة يكون بكثرة تعريضها للفشل ، أو القعود والكسل ، والتشجيع خير محفز » [1] .

وبالطبع التشدد في تطبيق القواعد ، لا يوحي للتلميذ بكونه محبوبًا ، مما يستدعي الاضطراب وكراهية النظام ، لأن تطبيق النظام يستدعي شيئًا من المرح المقبول ، فلقد جاء في وصية هارون الرشيد لمعلم ولده : « . . . ولا تمرن بك ساعة ، إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه . . . » [2] ، إذ أن الهدف من التربية هو تعليم الطفل دون دموع .

وإذا كان لا جدال في ضرورة العقاب حين اللزوم ، إلا أن الواقع يؤكد أن الحاجة إليه ، تقل كلما ازداد المربي

(١) لمؤلفه فيلكس توما . (٢) مقدمة ابن خلدون.

حكمة ، وليس من الضروري إحداث الألم الجسدي بالعقاب ، ولا حتى النفسي ، وإنما كونه رمزًا للحرمان والكف عن الرضى ، والإشعار بعدم القَبول ، في مقابل سلوك وموقف تعلمي سلبي ، والملاحظ غالبًا أن كثرة معاقبة الأولاد ، دليل فشل نظام التربية ، أو تنفيس عن معاناة الكبار: آباء ومعلمين ، وينصح حكيم الإسلام ، أبو حامد الغزالي ، المعلم والمربي في كيفية العقاب بقوله : « أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق ، بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار » [1] .

قد يلتمس المربي لنفسه العذر بالمثل الدارج : « العصا من الجنة » وهذا المثل لا أصل له ، وإن الاختبار العملي لقيمة أي عقاب ، هو النتيجة التي يحدثها ، فإذا ما أصبح الولد أسوأ ، فمعنى ذلك أن المعاقبة طريقة فاشلة .

ولا بد كذلك من أن يكون العقاب مبررًا ، ومضبوطًا ومعللًا ومرتبطًا بمجمل النظام ، ليكون تأديبًا ، ومما جاء في كتاب التربية في العائلة (زلات الوالدين) : « النظام إذا قسا يُضل الإرادة ويلاشيها ، وينشطها إذا كان عاقلًا

(١) كتاب الثواب والعقاب في التربية محمود ماهر زيدان (ص٨١) .

حكيمًا ، على (حد) قول أفلاطون : يحسن استعمال اللجام والمهماز »[1] .

وهذا يُلجِئنا لطرح السؤال التالي : هل العقاب عادل وضروري ؟ والجواب في أكثر الأحيان يكون بالنفي ، لأن فقدان البيئة الوجدانية المحيطة بالتلميذ ، تفقده الشعور بحرص المربي على تنشئته وتربيته ، حرصًا وجدانيًا مناسبًا ، مع أن الأصل كما قال أنس ﷺ في وصف رسول الله ﷺ وقد خدمه عشر سنين وهو صغير : « لم يضربني رسول الله ﷺ قط ، ولم يقل لي لشيء فعلته : لم فعلته ولا لشيء لم أفعله : لِمَ لَمْ تفعله »[2] .

وإذا ذُكر حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « **علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فإنه أدب لهم** »[3] ؛ فينبغي إتباعه بقول رسول الله ﷺ عمن يضرب أهله : « **ليس أولئك بخياركم** »[4] مما يؤكد أن الضرب ليس الطريقة المثلى في التربية والتوجيه .

وقد يَذكرُ بعض المعلمين : أنهم ضُربوا من قبل أساتذتهم

(١) فيلكس توما (ص١٣٦) ترجمة .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد .

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير برقم (٥٤٦٨) وروي عن ابن عمر وقال: غريب .

(٤) رواه أبو داود والنسائي .

في السابق ، مما أثمر كونهم في مواقعهم المتقدمة اليوم ، علمًا ومكانة وثقافة ، ولو كان هذا الأمر صحيحًا على إطلاقه ، لما كان وضع أمتنا اليوم وضعًا لا تحسد عليه ، بالإضافة إلى أن لكل زمان دولة ورجال .

فكيف إذا وُجِدت مستجدات كثيرة ، تقلل من حرية الفرد على مستوى السلوك الفطري ، وذلك من خلال إحاطة الجانب الوجداني لديه ، بجيش من المؤثرات المادية ، وهيمنة وسائل الاتصال العالمية ، مما يجعله أكثر حاجة ، إلى قدر أكبر من الحرية والتقدير الإنسانيين ، وأي تضييق على الجانب الوجداني لدى الطفل ، يدفعه باتجاه الانطلاق نحو إشباع أكبر للجانب المادي في سلوكه وحياته ، وما أكثر وما أيسر توفر وسائل هذا الجانب ، في حياتنا المعاصرة ، مما قد يحدث آثارًا خطيرة ، إذا أساءت التربية التعامل مع الطفولة الغضة الطرية ، في عالم مليء بالمتناقضات والمؤثرات .

بالإضافة إلى ذلك يمكن القول : بأنه طالما أن الشُّبهات تَدرأ الحدود ، في نظام العقوبات في الإسلام ، فإن كثرة المؤثرات ، تمنع أن يكون الضرب وسيلة رئيسة في العقوبات التربوية ، للبحث عن وسائل أخرى أكثر جدوى ، في نظام العقوبات التربوي ، من خلال تغيير اجتماعي شامل .

ثامنًا : - التربية أساس العلاج :

التربية القائمة على الرفق ، أنجع من التربية القائمة على العنف والضرب والخوف ، لحديث رسول اللَّه ﷺ الذي يقول فيه لعائشة رضي الله عنها : « **إن اللَّه رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه** » [1] .

أما الإساءة في استخدام العنف ، فإنه أمر ملاحظ في هذا العصر ، الذي ضاعت فيه كثير من الحقوق والواجبات ، وأخبار الحوادث الإجرامية من قبل الكبار ، تجاه الأطفال والصغار ، ومن قبل الصغار ، نتيجة سوء تربية الكبار ، تملأ نشرات الأخبار وصفحات المجلات والصحف .

ولو درسنا دراسة مستفيضة ، كثيرًا من الانحرافات السلوكية لدى أبنائنا ، وضعف شوقهم نحو التفوق العلمي ، لوجدنا أن الاضطراب الوجداني ، وجفاف ينابيعه في حياتهم ، سببًا رئيسًا من أسباب هذه الإعاقات ، للقاعدتين التاليتين [2] من قواعد التربية الصحيحة :

الأولى (لأرسطو) :

الحياة العقلية تَكمُل إذا ازداد الإنسان اختيارًا ، وأصبحت إرادته قوية حرة ، خالية من القيود .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) كتاب أسباب جنوح الأحداث ترجمة د . محمد سلامة غباري .

والثانية (لويليم جيمس) :

لا يستفيد الولد من درس ، ما لم يشوقه هذا الدرس ، بتحريك شعوره وميله الفطري ، وذلك بفهم استعداداته من ناحية ، وإدراك حد نموه من ناحية أخرى .

والقول بأن تأمين قدر أكبر من الماديات والحاجيات ، دليل على العاطفة الكبيرة نحو الأبناء خطأ فادح ، إذ يعد الجو العاطفي للأسرة ، من أهم العوامل التي تفعل فعلها في تكوين شخصية الأبناء ، وأساليب تكيفهم .. فالحب الدافئ الشامل الذي ينعم به طفل ، يؤدي إلى ثقته بنفسه وطمأنينته ، وقدرته على مواجهة الظروف المتنوعة على السواء [1] . ولهذا كان لا بد من الالتفات إلى التربية بمعناها التهذيبي ، القائم على قسط أكبر من الوجدانيات ، لتنشئة الأبناء تنشئة سليمة .

جاء في كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ٤٢١هـ تحت عنوان (تأديب الأحداث) « إن نفس الصبي . .. إذا نقشت بصورة وقبلتها ، نشأ عليها واعتادها ، فالأولى بمثل هذه النفس ، أن تنبه أبدًا على حب الكرامة ، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين ، وبلزوم سننه ووظائفه ، ثم يُمدح الأخيار عنده ، ويُمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه ،

---

(١) كتاب الصحة النفسية د. نعيم الرفاعي (ص٣٩٠) .

ويخوَّف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه » [١] .

« وكما أن الطبيعة المدبرة للأجسام ، ربما تشوقت إلى ما ليس بتمام للجسم الطبيعي ، لعلة تحدث فيه وآفات تطرأ عليه ، بمنزلة من يشتاق إلى أكل (ما يضره) ، وما جرى مجراه ، مما لا يُكمل طبيعة الجسد ، بل يهدمه ويفسده ، كذلك النفس الناطقة ربما اشتاقت - لأسباب كثيرة يطول ذكرها- إلى النظر والتميز الذي لا يكملها ، ولا يشوقها نحو سعادتها ، بل يحركها إلى الأشياء التي تعوقها وتقصر بها عن كمالها ، فحينئذٍ يحتاج إلى علاج نفساني روحاني ، كما احتاج في الحالة الأُولى إلى طب طبيعي جسماني ، ولذلك تكثر حاجات الناس إلى المُقَوِّمين ، والمؤدبين والمسددين » [٢] ، وخلاصة القول إن الناس بحاجة إلى معلمين ومربين .

* * *

(١) الكتاب المذكور (ص٤٨) .

(٢) المرجع السابق (ص٦١) .




كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟

الفصل الثاني

تحليل الجزاء التربوي

أولًا : أثر الضرب والعقاب البدني .

ثانيًا : أثر الشتائم والعقاب المعنوي .

ثالثًا : ضوابط الثواب والعقاب التربويين .

رابعًا : الأسباب غير المبررة للعقوبات .

خامسًا : وسائل وقائية وعلاجية لأسباب العقوبات .

ينبغي للمعلم في متعلمه ، والوالد في ولده ، أن لا يستبدا عليهم في التأديب [ابن خلدون] .




الفَصْلُ الثَّانِي

تحليل الجزاء التربوي

أولًا - أثر الضرب والعقاب البدني :

لابد من إلقاء الضوء الساطع على العقاب البدني ، لاستجلاء الآثار الناتجة عنه ، لأنه وسيلة من وسائل التربية ، لتحقيق مقاصد معينة ، تشكل كفًّا لمواقف سلبية من العملية التربوية ، وتعزيزًا لمواقف أخرى إيجابية من العملية التربوية ، لدى الطالب والناشئ .

١ - العقاب ليس أصلًا ولا واجبًا :

العقاب ليس أصلًا في الحياة ، ولا كذلك في التربية والتعليم على الخصوص ، قال القاضي أبي زيد عبد اللَّه بن عمر بن عيسى الدبوسي (ت/٤٣٠هـ) في كتابه (الأمد الأقصى) تحت عنوان : فلسفة العقوبة وحكمة الأمر الإلهي : « حكم الحكيم - دقت حكمته وجلت نعمته - على هذا العالم بالابتلاء لحكمة الجزاء .. ثم شرع العقوبات مكروهة بالطبائع ، لتكون زاجرة لهم عن طبع النفوس إلى موجب الشرائع ، مكان الشهوات الداعية إلى نفع العاجل ، الزاجرة عن الآجل .

فالعقوبات زواجر ، وفيها معنى التطهير عن آثام الارتكاب والافتراء ، لكن بشرط الالتزام والانتهاء ، لا أنها أصل في باب الابتلاء ، وإنما الأصل ما ذكرناه من الابتداء .

وإنما مثل العقوبات مع العبادات ، مثل الأدوية مع الأغذية ، فالأدوية ليست مما دعت الطبائع إليها على الابتداء ، ولا مما تعلق بها في الأصل البقاء ، من جملة الغذاء ، ولكنها زواجر عن الإفراط فيها ، والتناول فوق الكفاية منها » [1] .

٢ - العقوبات تفوت الشعور بالأمان :

في البيئة التربوية ، والبدنية منها خصوصًا ، ربما شكلت تعزيزًا للفشل والتقصير في التعلم ، من خلال ما يعرف بنظرية بافلوف في المنعكس الشرطي ، فكلما سمع كلمة واجب أو تكليف ، استُدعي إلى ذهنه الفشلُ السابق ، وما يترتب عليه من عقوبة ، فيحدث الكف التعلمي ، والتحفز إلى دفع ألم العقوبة ، بتهيئة أساليب الغش ، أو الاستعداد الجسمي والنفسي لتلقي العقوبة .

يقول صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « إن شعور الأولاد بتناقض معايير المجتمع ، يدفعهم لارتكاب الخطأ ، الذي يلقون عليه التأنيب والتحقير والعقاب ، مما يدفعهم لعدم الشعور بالأمن ، ومن ثمَّ السخط والشعور بالظلم ، وسوء العلاقة بينهم وبين الناس ، فيلجؤوا إلى الفرار من أسرهم ومدارسهم إلى الشارع ، ليعبروا عن

(١) الكتاب المذكور (ص١٢٩) .

أنفسهم ، بما يخفض من قلقهم وتوترهم ، وكذلك إذا تناقضت طموحاتهم مع آمال الوالدين » [١] .

٣ – العقوبة البدنية ليست علاجًا مبرمجًا :

العقوبة البدنية جزاء كلي في الجملة ، ورد فعل عاجل على تقصير في التعلم ، لأن التحليل التربوي النهائي ، يبين أن القصور الدراسي نتيجة لبيئة تربوية فاشلة ، سواء كانت هذه البيئة بيتًا أو مدرسة أو مجتمعًا ، ومسؤولية الطالب عن هذه البيئة محدودة ، وبالتالي فالعقوبة غير جديرة بالاحترام في مثل هذه البيئة والظروف ، ولا يتحقق الغرض المرجو منها ، إذ أن « أسلوب العقاب البدني ، يخلق جوًّا سلبيًّا مليئًا بالغضب والحقد بين الصغار والكبار ، إما لعدم إدراكهم مبررات العقاب ، أو عدم اقتناعهم بشدته ونوعه ، وشعورهم بأنهم أسرى عالم الكبار ورغباتهم ، فيبذر الخوف منهم ، والنفاق لهم والرياء ، – بل قد – يتخذ الطفل والديه ومعلميه نموذجًا للعدوان على الآخرين ، فلا تهمه بعدها مشاعر الآخرين » [٢] .

٤ – يصعب تقدير عقوبة الضرب المدرسي :

يصعب تقدير العقوبة بما يتناسب مع المتطلبات التربوية ،

(١) Travis Hirschi ترجمة د . محمد سلامة محمد غباري (ص٢٦٥) .

(٢) كتاب التدريس والصحة النفسية د . عمر بشير الطويبي (ص١٤٧) .

والأصعب من ذلك أن تجعل علاجًا بالمعنى الصحيح ، خاصة في ظل قصور كبير في المتطلبات المدرسية من ناحية ، وقصور أكبر في المتطلبات الأسرية والبيتية من ناحية أخرى ، بل وخلل أكبر وأكبر في المجتمع ككل ، حتى على المستوى الإنساني العالمي ، من خلال وسائل الإعلام والاتصال العالمية ، وما تحدثه من آثار على مستوى الفرد والمجتمع .

ولو قُدِّر لأحد أن يحاسب الطفل أو الشاب ، على تقصير تربوي ، لكان الأولى به أن يحاسب المسؤولين عن الطفولة والأبناء ، بسبب تقصيرهم الكبير تجاههم ، فكيف نعاقب المظلوم بمظلمته ، ومسؤوليته عن نفسه قاصرة ، مقارنة بمسؤولية الكبار عنه .

يقول صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « من أسباب الجنوح وسائل الإعلام : الصحافة والكتب الرخيصة والأفلام والبرامج التلفزيونية ، ونقص التوجيه الديني ، .. إن الإنسان أخلاقي ، يرغب في الامتثال للقانون ، وإن الشر ليس من طبيعته ، لكنه يفعله إذا اضطر لذلك ، وإن الطموح أعظم الصفات الخيرة في المجتمع ، لكنه يولد شرًّا ، إذا كان هناك عائق لتحقيقه (فالشر يولده الشر) الظروف البائسة » [1] .

(١) ترجمة د . محمد سلامة غباري (ص٣٢٤) .

٥ - الغرض الحقيقي من الضرب :

هل الضرب عقوبة أم علاج أم انتقام ؟ لو أننا ذهبنا نحلل هذه المسألة تحليلًا جيدًا ، لما وجدناه ينطبق على أي من هذه المعاني ، انطباقًا صحيحًا تامًّا ، بل يأخذ من هذا غرضًا ومن ذاك ، مما يجعله لا ينطبق على المقصود منه انطباقًا سليمًا ، مما يبعده عن الحكمة المطلوبة أصلًا في التربية والتعليم ، « إن كل وسائل التهذيب ، التي تلقي الخوف والرعب ، هي بالإجمال مضرة غير نافعة ، لأنها تثبط الهمم بدلًا من أن تنشطها ، وتقلق العقل والقلب بدلًا من أن تنيرهما ، أو تهدي ثائرتهما » [١] .

٦ - هل الضرب عقوبة عادلة ؟

كثيرًا ما تتفاوت البيئات الأسرية والتربوية للتلاميذ تفاوتًا كبيرًا ، ومن الصعوبة بمكان أن يدرك المعلم الفروق بين طلابه ، وبالتالي لا يمكن أن يكون عقابه بالضرب عقابًا عادلًا ، ومن أولى الأولويات التربوية العدل بين الأبناء ، والطلاب هم أبناء المعلم ، فإذا تعذر العدل المطلوب ، رُفِع الجزاء المنشود بهذه الوسيلة القاصرة ، بسبب ما ذكر من أسباب ، « لأن البيوت المتصدعة بسبب الموت والطلاق أو الانفصال أو الهجر ، غالبًا ما تكون سببًا هامًّا في جنوح

(١) فيلكس توما في كتابه زلات الوالدين (ص٦٤) .

الأحداث » [1] .

٧ - تُمنع العقوبة إذا لم تحقق مقصدها :

الوسيلة العقابية إذا بُررت لمقصد عادل ، فإنه من المتفق عليه تربويًّا ، أنه إذا لم تحقق المقصود ، وهو تقويم السلوك تربويًّا ، فإنه يُعدل عنها إلى وسيلة أخرى ، وإذا غلب على ظن المربي أنها لن تفي بالغرض ، لا يجوز اللجوء إليها ، كوسيلة من وسائل الجزاء التربوي ، لأن الوسائل منوطة بالمقاصد ، شرعًا وعقلًا وعرفًا .

يقول صاحب كتاب زلات الوالدين : « الاستبداد في التربية للأولاد ، يجعلهم ينحرفون في التعبير عن حريتهم قولًا أو فعلًا ، إن التعليم والحرية سلاح ذو حدين ، ولا يتمحض إلى الخير ، إلا إذا وجه إليه بحسن الوسيلة ، وحسن المضمون » [2] .

٨ - تكرار الضرب يلغي أثره :

تعود الأبناء على الضرب ، لا يحدث فيهم إلا الجفاء والخشونة والتمرد ، وهذا عكس المقصود منه في عالم الأبناء والصغار ، بل إن الدراسات النفسية تؤكد ، على أنه يحدث في الأبناء من الآثار الجسدية والنفسية ما لا تحمد عقباه ، ولا يمكن

---

(١) كتاب أسباب جنوح الأحداث .

(٢) فيلكس توما في كتابه زلات الوالدين (ص١١٠) بتصرف .

الاستشفاء منه فيما بعد ، وقيام هذه العلاقة بين المربي والآخرين ، والتي تستخدم فيها هذه الوسيلة المؤلمة ، تقيم حاجزًا سميكًا بينهما ، يمنع التواصل والتفاهم والتفاعل والمحبة .

يذكر أحد أتباع المدرسة السلوكية في علم النفس : « أن قانون الأثر ينص : على تأثير الحالة النفسية الطيبة أثناء التعلم على تقدمه ، وإذا رافقه انفعال غير مريح ، يعطله ويبطئه ، فتقوى في حال الرضى حالة التعلم ، وتضعف في الشعور بالضيق والعقاب » (١) .

٩ - نتائج تراكم العقوبات البدنية :

تتبّع تراكم العقوبات البدنية بالإحصاء ، على مستوى اليوم والأسبوع والشهر والسنة ، والمرحلة العمرية : الطفولة الأولى ، والثانية ، واليفاعة ، والمراهقة ، والشباب ، يوصلنا إلى نتائج إحصائية تنذر بالخطر ، تتعدى فيها عدد مرات المعاقبة العشرات والمئات ، ولا يحصد المربي من خلالها في الغالب ، سوى عناد وإصرار الأبناء على التحدي والفشل ، هذا إذا لم تفتح لهم العقوبات باب العنف والتمرد والإجرام ، كرد فعل على المغالاة في استخدام العقوبات البدنية تجاههم ، مما يؤدي إلى فشل الجو الأسري في البيت ، واضطراب الجو

(١) عالم نفس أمريكي (إدوارد لي ثورنديك) عن كتاب الثواب والعقاب في التربية . محمود ماهر زيدان (ص١٣٠) .

المدرسي في الصف والمدرسة .

يقول ابن مسكويه : « فإن خالف في بعض الأوقات ما ذكرته ، فالأولى ألا يوبخ عليه ، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه ، بل يُتغافل عنه ، تغافل من لا يخطر بباله أنه تجاسر على مثله ، ولا هم به ، لاسيما إن ستره الصبي ، واجتهد أن يخفيه .. فإن عاد فليوبخ عليه سرًا ، وليعظم عنده ما أتاه ، ويحذر من معاودته ، فإنك إن عودته التوبيخ والمكاشفة ، حملته على الوقاحة .. ، وهان عليه سماع الملامة في ركوب القبائح ، من اللذات التي تدعوا إليها نفسه » [(١)] .

١٠ - الشك في الاستجابة بالعقوبة :

لا ضامن على الاستجابة الحقيقية بالعقوبة ، وهذه مسألة جديرة بالدرس والاهتمام إزاء العقوبات البدنية للنشء ، لأنه مهما كانت النتائج إيجابية ، وأثمرت استجابة ظاهرية للأبناء ، وقومت سلوكهم في الحال ، فإنه ما من ضامن أن الاستجابة حقيقية ، بحيث يكون هذا السلوك صادق ظاهرًا وباطنًا ، إذ أن أي سلوك ينبني على الرهبة والخوف ، يحدث آثارًا داخلية في النفس ، يظهر أثرها فيما بعد بشكل مريع ، يكف جانبًا من الحرية عظيم ، وتعتل الشخصية الإنسانية التي يراد لها القوة والكمال ، فيحل محلها

(١) ت ٤٢١هـ في كتابه تهذيب الأخلاق (ص٥٠) .

شخصية انهزامية ، أو نفاقية أو منفعية أو جبانة .

والتربية القائمة على هذا الأسلوب ، يمكننا أن نسميه التربية القِرَديَّة ، كحيوانات السرك ، والتربية القائمة على أسلوب المرغبات المادية فقط ، والتي نجح الغرب فيها اليوم ماديًّا ، لا تبعد عن هذه التسمية ، حسب معامل ومختبرات بافلوف ، إذ أن هذه المدرسة في الجزاء ، غفلت الجانب الروحي والآدمي المشرق في الشخصية الإنسانية ، القائم على القيم الروحية والمعنوية في الإنسان ، والذي يعتبر محوره ومدخله الإقناع والاقتناع .

يقول القاضي حسن العشماوي : « حين نربي الطفل على الإقناع والمشاركة والتفاهم ، فإننا نربي أمة من الأحرار ، لأن ذلك متصل بحق الإنسان في حرية الفكر والقول والعمل » [1] .

ثانيا - : أثر الشتائم والعقاب المعنوي :

لا بد من القول ابتداءًا ، أن هذا اللون من أشد أنواع العقاب ، إلا أنه لا يمت إلى التربية والتعليم بأية صلة ، بل يعتبر انعكاسًا لما ذكر سابقًا في بند العقاب البدني ، لأن العقاب البدني غالبًا ما يكون مصحوبًا بانفعال شديد ، من جانب المربي ومن جانب المتلقي ، مما يدفع بأحدهما أو

(١) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص١٧) .

كليهما إلى التلفظ بألفاظ تعبر عن عدم الرضا ، بل تعبر أحيانًا كثيرة عن السخط والألم والتكدر ، وهذا يتناقض مع المهام التربوية المقصودة ، « لأن كل طفل - بطبيعته - يحب أن يعامل معاملة الكبار في كثير من الأمور ، لأن ذات الكبر عنده غاية ، وهذه تعجل به نحو النمو النفسي » [1] ، وسنذكر جملة من الآثار السلبية للشتائم وهي كما يلي :

١ - مخالفة التكريم الآدمي :

إذا جاز لنا أن نسمي الشتائم عقابًا ، فهي تخالف التكريم الإنساني لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ ، [الإسراء : ٧٠] لأن هذا التكريم يتعلق بالجسم والعقل والنفس ، وأين هذا في حال العقاب أشكالًا وألوانًا .

يقول صاحب كتاب كيف نربي أولادنا : « ولن يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ، إلا إذا سلم من آفات الجسم والعقل والنفس جميعًا ، قدر المستطاع ، .. الجسم بالصحة والغذاء ، والعقل بالعلم والتربية ، والنفس بالثقة والاطمئنان والتحرر من الخوف ، وممارسة هواية للتسامي بالمشاعر والغرائز [2] » .

(١) المصدر السابق (ص٤٥) .

(٢) القاضي حسن العشماوي (بتصرف) (ص٣٨) .

٢ - مخالفة قواعد التسمية الصحيحة :

استعمال الشتائم أشكالاً من التسمية ، والألقاب والأوصاف السيئة ، مثل يا غضنفر ، يا كسلان ، يا حمار ، يا بليد ، مخالف لما علمنا رسول الله ﷺ ، في أدب التسمية التي ينبغي أن تكون بالأصل حسنة ، يقول القابسي : [1] « كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقًّا ، فيقول يا مسخ .. يا قرد . . فلا يفعل هذا .. ولا ما كان مثله في القبح ، فإن قلت له واحدة ، فلتستغفر اللَّه منها ولتنته عن معاودتها » .

٣ - التثبيط النفسي والمعنوي :

إن إطلاق العبارات غير اللائقة على الأبناء ، ولو كانت صادقة في وصف ما يقال فيهم ، فإنها تدفع بالأبناء إلى تمثلها في سلوكياتهم ، باعتبارها الوصف المناسب لهم ، في موقف من مواقفهم التربوية والتعليمية ، مما يؤدي إلى اقتناعهم بها ، إذ « يُكوِّن المعاقَب عن نفسه صورة سلبية انهزامية ، فينسى إيجابيات نفسه وشخصه ، بسبب التركيز على السلبيات والفشل » [2] .

---

(١) ت/ ٤٠٣هـ - في رسالته أحوال المعلمين والمتعلمين عن كتاب تطور الفكر التربوي د. سعد مرسي أحمد (ص٢٤٠) .

(٢) د . عمر بشير الطويبي في كتابه التدريس والصحة النفسية (ص١٤٦) بتصرف .

٤ - تناقض التقويم الإيجابي :

بغض النظر عن كون الشتائم عبارات شائنة ، يوصف بها الأبناء أو الطلاب ، فإن عبارة ضعيف ، أو فاشل ، أو راسب ، تسد الطريق على محاولة التفوق والنجاح ، لما لها من أثر سلبي كبير على العملية التربوية التعليمية ، يقول (ليكوفيه) : « لا أريد أن اجعل ابني راهبًا ولا فاسقًا » (١) . وهل هناك أفسق من هذه الألفاظ الشائنة ، التي تحطم كرامة النفس ودافعيتها .

٥ - تناقض صفات المربي الحميدة :

الألفاظ الشائنة تخل بما ينبغي أن يتصف به المربي من أوصاف حميدة ، من دماثة الأخلاق ، وحسن التصرف ، وعفة اللسان ، وأدب الحديث ، باعتباره القدوة الحسنة للأبناء والطلاب ، عن عبد اللّٰه بن عمر ﷺ قال : (جاء رجل إلى رسول اللّٰه ﷺ فقال : يا رسول اللّٰه ، كم أعفو عن الخادم ؟ قال : « **كل يوم سبعين مرة** ») (٢) .

٦ - تعارض لغتنا الجميلة :

اللغة ومفرداتها وآدابها ومفاهيمها ، هي القالب الفكري والتصوري والذهني للإنسان ، فكيف ننهى عن خلق ونأتي

---

(١) عن كتاب زلات الوالدين .

(٢) رواه (أبو داود ، والترمذي) .

بمثله ؟! عار علينا ذميم ، فإذا استخدمت هذه الألفاظ السيئة في هذه الدائرة التربوية والتعليمية ، نقلت الأبناء شوطًا بعيدًا عن القيم التربوية والإنسانية السليمة .

٧ – توحي بالكراهية وعدم القَبول :

إن ما يصاحب الشتائم من صور ذهنية ووصفية ، يجعل جدارًا سميكًا بين الأبناء والمربين ، وهذا يشكل أكبر العوائق أمام انفتاح الأبناء على المربين والمعلمين وتواصلهم ، « فكما أن الارتباط بالآخرين يؤدي للامتثال للمعايير التقليدية ، فإن نقص الارتباط بالآخرين – مثل الآباء والمعلمين – يؤدي إلى غياب الالتزام بقيم تحقيق النجاح الشخصي ، فيدفع – الأبناء –للارتباط بالجانحين ، لأن قلة الالتزام تدفعهم إلى البحث عن ما يناسبهم من الأشخاص » [1] .

٨ – تعزز المواقف السلبية للمتعلم :

إن سماع الناشئ المدح بعد اعتياده الشتائم ، يحسب أن المقصود غيره ، فلا يستجيب لندائه ، لما تشكله من منعكس شرطي لهذه المواقف ، حسب نظرية بافلوف ، مما يوجب على المعلم والمربي الحذر الشديد ، في استخدام الألفاظ العقابية ، بل اجتناب السلبية منها بالكلية .

---

(١) كتاب أسباب جنوح الأحداث (ص٢٣٧) .

٩ – تسبب الأمراض النفسية :

ولو تتبعنا كثيرًا من الألفاظ العقابية ، لوجدنا في جذورها التلوث اللغوي ، مرتبط ارتباطًا عضويًّا بالتلوث الفكري المؤدي إلى الاضطراب السلوكي لدى الأبناء والناس ، مما يدفع بالمعالجِين إلى طلب ترداد المعالجَين عبارات إيجابية معينة ، لتمحو أثر العبارات السلبية ، وتحل محلها في الذهن والتصور والسلوك ، مثل : (أنا أستطيع النجاح ، أنا قوي ، أنا ناجح ... إلخ) .

١٠ – تشوه ثقافتنا الراقية :

لأن الثقافة تشكل الإطار الإنساني الحضاري للفرد ، ومفرداتها أهم مرتكزاتها ، فإذا كانت هذه اللغة ومفرداتها ، متشائمة سوداوية حانقة ، عكست على صاحبها السلوك المناسب لها ، وإذا كانت لغة متفائلة متسامحة ، دافقة بالعواطف النبيلة ، انعكس أثرها الطيب على النفس والسلوك ، فأثمر دافعية تربوية وتعلمية طيبة .

يقول صاحب كتاب تربية العائلة (زلات الوالدين) : « ونضيف قاعدتين :

الأولى : وجوب الانتباه عند انتخاب العلوم التي نرغب تعلمها ، إلى منزلتها التهذيبية .

والثانية : وجوب الحذر من تعليم الأولاد علمًا يساعد

على الحط من كرامتهم في المستقبل ، ولا ينبغي أن نعتقد ما هو شائع اليوم ، أن كل علم يفيد دائمًا ، حتى لو ناقض استعدادات أولادنا ، لأننا بهذا نزيد عدد المنحطين والكسالى ، الذين يضايقون المجتمع في المستقبل ، مما يحدو بنا للقول أن التربية العقلية لا يجب أن تنفصل عن تربية الإرادة » [١] ، ويقول في موضع آخر : « قوة الفكر بالحقيقة ، ضعيفة إذا لم يرافقها الشعور ، والقلب يثير الهمة والنشاط أكثر من العقل ، وهو منبع الأفكار السامية » [٢] .

ثالثًا - : ضوابط الثواب والعقاب التربويين:

حديثنا السابق عن أثر العقاب البدني والمعنوي ، انصب في مجمله على الصورة السلبية لهما ، ولو شاء المربي والمعلم أن يردَّ علينا فيهما ، لاستطاع ذلك وصدَق وصُدِّق ، إلا أننا أصحاب النظريات التجديدية في التربية ووسائلها ، نسألهما بإلحاح شديد ، الصبر علينا فيما نريد قوله ، فيما يتعلق بالجزاء المدرسي ، من زاوية نظر أخرى ، غير التي طرقنا فيها الموضوع في المرة الأولى .

يقول صاحب كتاب الثواب والعقاب في التربية : « إن الفكر التربوي الإسلامي ، يحيط العقوبة البدنية ، بضوابط وشروط يصعب بل يستحيل توفيرها ، في عملية توقيع هذه

(١) فيلكس توما (ص١٢٠) .   (٢) (ص ١٣٤) .

العقوبة داخل المؤسسة التربوية ، لأن ظروفًا اجتماعية وأحوالًا عصرية ، تفرض استبعاد العقاب البدني من الممارسات التربوية ، لأن الخطأ في العقاب البدني والنفسي ، أبعد أثرًا على الشخصية والسلوك .

لكن الفرصة متاحة في مدارسنا ، لممارسة عقوبات تربوية غير بدنية مؤثرة ، مؤكدة النتائج ، لتعديل السلوك ، وتحسين التحصيل الدراسي » [1] .

ونحن لا ننكر أثر الثواب والعقاب المادي والمعنوي ، في تعزيز المواقف التعليمية إيجابيًا ، شريطة أن يكون هذا الجزاء ، حسب المفاهيم والشروط التالية :

١ - أن يحاط العقاب بالمقاييس التربوية والنفسية :

إيقاع العقاب بغير ضوابطه يعتبر عملًا غير تربوي ، لأن العقاب التربوي له أكثر من أثر حازم في الردع والزجر ، .. أي ماله من صفة العقوبة بقصد الإصلاح .. ولكنني أنظر إليه نظرة بغيضة ككل عقاب :

أ - فالردع يكون للغير لئلا يستشري فعل المعاقَب بينهم .

ب - والزجر أثر العقوبة على المُعاقَب نفسه .

ج - والإصلاح للطرفين الفاعل والمجتمع » [2] .

(١) محمود ماهر زيدان (ص١٣٤) .

(٢) محمود ماهر زيدان (ص٢٠) .

٢ - أن ينفذ العقوبة ولي أمر الطفل المباشر :

لا يقوم مقام ولي أمر الطالب أي شخص آخر ، وذلك لما بينهما من وشائج القربى والمرحمة ، وإذا لم تتوفر في ولي أمره هاتين الصفتين ، لا يمكن أن تحقق العقوبة مقاصدها ، يقول صاحب كتاب كيف نربي أولادنا لزوجته : « الأصل أن هذه اليد التي لها حق الالتجاء إلى الإيلام بشروطه ، هي يدي أنا وأنت متفاهمين ، لأننا نحن الاثنين .. شخص واحد يسعى بقلبين يملؤهما الحب إلى غاية واحدة ، .. وليس لأي يد أخرى مهما علت مكانتها .. أن تؤلم الأطفال في التربية ، وليس ذلك استهانة بقدرها ، ولكن استجابة لوسائل التربية التي أؤمن بها على وجهها الصحيح »[١] .

٣ - أن يرفق العقاب بالحنان ومشاعر المحبة :

يجب إرفاق العقاب بالحنان بشكل واضح ، مع تجنب كل ألوان الحنق والغضب ، بالإضافة إلى استجلاء رضى المعاقَب به ، لأن العقوبة إذا لم تحقق المقصود منها لم تعد مجدية ، بل ربما أدت إلى مردود عكسي ، مما يعتبر تعزيزًا للمخالفة أو التقصير ، مع أن المقصود هو كف السلوك السلبي تجاه الموقف وربطه بمنعكس شرطي لتحقيق هذا الكف .

---

(١) القاضي حسن العشماوي (ص٣٦) .

٤ - أن يسبقه الثواب والتشجيع والإقناع :

ينبغي أن يقدم الثواب على العقاب في الأولوية ، لأن الحياة نعمة وأصل ، ويشكل الثواب تعزيزًا لمستلزماتها ، والتشجيع إثراء لتحسين مستوياتها ، والإقناع تفعيل وبيان لمضمونها ، لما لهذه الأمور الإيجابية من أثر واضح على الصحة النفسية للأبناء ، يقول الأستاذ نعيم الرفاعي : « أثر معاملة الوالدين للأولاد واضحة في تكيفهم فيما بعد أو عدمه ، ومن ذلك: الاطمئنان أفضل من الحرمان ، والقبول أفضل من النبذ ، والمسايرة والرعاية أفضل من الضغط والإكراه ، والنصح والإرشاد أفضل من العقوبة البدنية ، وأثر هذا التكيف يظهر على الأولاد في المجتمع الخارجي ، وفي أسرة المستقبل التي ينشؤونها » [1] .

٥ - التدرج والتروي في العقاب :

لا بد أن يسبق العقاب غض الطرف ، ومن ثم النصح فالزجر والشفاعة والتحذير ، والتهديد به إذا لم تفلح هذه الأمور ، ثمَّ يخير المعَاقبون بين عدد من العقوبات ، ويختارون أحدها ، فإذا لم تنفع إحداها ، تستبعد في الاختيارات القادمة .

---

(١) ترجمة د. محمد سلامة محمد غباري (ص٤٨) .

٦ - التزام المجتمع التربوي بالقيم والقانون :

احترام الأسرة والمدرسة للأعراف الدينية والتربوية ، يساعد الأبناء على الالتزام بالقيم والقانون ، لأن هذه المضامين هي محور أساس المحاسبة والمساءلة ، حيث أنه من المعروف ألا محاسبة من غير نص ، يقول صاحب كتاب جنوح الأحداث : « بقدر ما يلتزم الطفل باحترام القانون ويتقبله ، بقدر ما يبتعد عن ارتكاب ما يتعارض معه من جنوح ، وبقدر ما يقل احترامه له ، بقدر ما يكون معرضًا لارتكاب ما يعتبر متناقضًا معه » [١] .

٧ - الإقناع والاقتناع بالعقوبة :

الاقتناع بالعقوبة يحدث الأثر الإيجابي لإيقاعها وإلا كانت حنقًا وغيظًا وانتقامًا ، وتحقيق هذا الأمر من الصعوبة بمكان ، إذا لم تتحقق الشروط التربوية السالفة الذكر ، ويتيسر ذلك في بيئات تربوية قائمة على الحب والوئام ، والرغبة الشديدة في التحصيل والتفوق ، وسأذكر قصتين طريفتين تؤيد ما ذُكر :

الأولى : قصة قديمة العهد : تتعلق بالزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي (ابن عمة رسول اللَّه ﷺ) صفية ، عُرف عن أمه

(١) في كتابه الصحة النفسية (ص٣٨٧) .

أنها كانت تضربه وهو يتيم ، فقيل لها : قتلتِه ، خلعتِ فؤاده ، أهلكتِ هذا الغلام ، فقالت : إنما أضربه كي يَلَبْ ، ويجر الجيش ذا الجَلَبْ [1] ، وفي رواية قيل لها : ما هكذا يضرب الولد ، إنك لتضربينه ضرب مبغضة ، فرجزت :

من قال إني أبغضه فقد كذب
وإنما أضربه لكي يَلَبْ
ويهزم الجيش ويأتي بالسَّلَب ولا
يكن لما له خبا مخبْ
يأكل في البيت من تمر وحبْ

فصلب عوده ، وقويت عريكته ، وأخذ يفوق أقرانه بالشجاعة منذ صغره ، فمما روي عنه : أنه كسر يد غلام ذات يوم ، فجيء بالغلام إلى صفية أمه ، وقيل لها : ما فعل ابنها فقالت :

كيف رأيت زبرًا ، آأقِطًا حسبته أم تمرًا أم مُشْمَعِلًا صقرًا [2] .

والثانية : قصة حديثة العهد : تتعلق بعلامة المسلمين في الهند الشيخ أبو الحسن الحسني الندوي رحمه الله تعالى قال : عوقبت من قبل شيخي عقابًا شديدًا ، وضربًا مبرحًا ، وذلك عن سوء تفاهم بيننا ، وصل الخبر إلى الوالدة ، ولما سألتني ،

(١) في طبقات ابن سعد : (ص٣/١٠١) .
(٢) في الإصابة في التمييز بين الصحابة : (ص١/٥٤) .

دافعت عن الشيخ أستاذي ، ولو لم أفعل ، لحرمت فضل تعلمي منه - العربية - واعتبرت جوابي توفيقًا من اللّٰه تعالى [1] .

رابعًا - : الأسباب الغير مبررة للعقوبات :

هناك أسباب كثيرة غير مبررة للعقوبات ، خاصة ما لا يعتبر الأبناء مسؤولين عنه ، مما يكون التقصير فيه واضحًا من قبل الغير ، سواء كان أبًا أو مدرسًا أو منهجًا أو بيئة ، أما العقوبة التربوية حقيقة ، ما كان يتعلق بالتقصير المتعمد المباشر ، أو اللامبالاة المتعمدة التي لا مبرر لها على الإطلاق ، أو التعدي المباشر على حق يترتب عليه واجب ، له صفة الفرض الديني أو الواجب الوطني ، ويخطئ كثير من الآباء والأمهات ، في اعتبار أن من « أسباب العقوبات :

١ - **الحركة والنشاط الزائد** : وفهمه على أنه (شيطنة) وأذى .

٢ - **التأخر الدراسي** : وقد يكون ناجمًا ـ في غالب الأحوال - عن أسباب خارجة عن قدرات الطفل كالجور الأسري والبيئي والمدرسي .

٣ - **الاضطرابات الانفعالية** : كالخوف والتبول والخجل والمولود الجديد » [2] .

---

(١) بتصرف من كتابه : في مسيرة الحياة (ص١/٨٠) .

(٢) كتاب الثواب والعقاب في التربية : محمود ماهر زيدان (ص ٩٣) .

ونلقي الضوء على البند الثاني من المعوقات :

إن التخلف الدراسي الشديد ، الذي يظهر من خلال التحليل العلمي الدقيق ، أن سببه غير مباشر ، يعود إلى السنين الأولى من التعليم ، والتي لم يتلقى فيها الطالب ، المبادئ الأولية للقراءة والكتابة والحساب بشكل سليم ، مما يجعل ما ينبني عليها فيما بعد من العلوم ، كمن يكتب على صفحة الماء ، أو يحرث في البحر ، والأهل يحسبون أن مجرد ذهاب ولدهم إلى المدرسة ، وحمله الكتب والأسفار ، وجلوسه على المقعد المدرسي ، وعودته إلى البيت ، كافٍ لأن يكون من الناجحين ، ولا نستطيع في عصر تحتفل فيه بعض المجتمعات ، بتخريج آخر الأميين فيها من كبار السن ، أن نلقي باللوم على الأهل وحدهم ، أو المدرسة وحدها ، بل مثل هذه الحالة وأمثالها ، تكون المسؤولية فيها مسؤولية مجتمع بأكمله ، نظامًا ومنهاجًا ، للبحث عن جذور معوقات التقدم الفردي والجماعي ، واكتشاف الحلول المناسبة لها .

خامسًا - : وسائل وقائية وعلاجية لمسببات العقوبات :

ومما لاشك فيه أن درهم وقاية خير من قنطار علاج ، وأن كثيرًا من المخالفات التربوية والسلوكية لأبنائنا ، سببه الأسرة والبيئة غير السويتين ، فينتقل الاضطراب منهما إلى

الأبناء بالعدوى والتقليد والمحاكاة ، ولو طُلب الدليل على ما نقول ، لكان حديث رسول اللّه ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .** »[1] أصل أصيل في الدلالة على ما نقول ، ولذا يُعتبر استباق السلوكيات السلبية ، على الصعيد التربوي والحقل الاجتماعي ، من خلال معاملة الوالدين ومن يقوم مقامهما للأولاد ، معاملة إيجابية تربوية سليمة ، يكون له أكبر الأثر في التنشئة الصحيحة لهم .

وننقل عن كتاب الصحة النفسية ، ما ذكر من أنه « سلكت دراسة (بولدوين ورفاقه) ثلاثة أبعاد لهذه المعاملة :

أ - القبول والنبذ .

ب - التعلق والاستقلال .

ج - الديمقراطية والتسلط .

وفصَّلت الخصائص المتعددة في كل بُعد .. واتجهت الكثير من هذه الدراسات نحو الأم ، لما لها من مكانة في تكوين الطفل في المراحل الأولى »[2] . وبالطبع المقصود من الدراسة ، أن تقوم المعاملة الجيدة مع الأبناء على القَبول ، والاستقلالية ، (الاعتماد على الذات) والديمقراطية

(١) حديث رقم (٦٣٥٦) في الجامع الصغير .

(٢) نعيم الرفاعي (ص٣٨٦) .

(الشورية) ، مع التوجيه الحكيم نحو الأفضل ، ومن هذه الوسائل :

١ - ترك الغضب :

لأن كثيرًا من العقوبات ، التي تقع على الأبناء ظلمًا وعدوانًا ، سببها الغضب ، وردات الفعل المتسرعة ، واختزال الجزاء التربوي ، بما هو أكثر توفيرًا لنا في الوقت والجهد والتفكير ، فتأتي وصية رسول اللّه ﷺ : « **لا تغضب** »[١] مرارًا ، لتكون البلسم الشافي ، لكثير من العلل السلوكية في حياتنا ، ولقد قيل لابن المبارك : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال : « ترك الغضب » ، وروى ابن السماك ، أن غلامًا لامرأة من قريش قد أذنب ، فأخذت السوط ومضت خلفه ، حتى إذا قاربته رمت بالسوط وقالت : « ما تركت التقوى أحدًا يشفي غيظه »[٢] .

والغضب من أكبر مسببات الفشل التربوي ، سواء كان في البيت أو المدرسة ، وتنعكس آثاره السلبية على المجتمع ، والعلاقات الاجتماعية ، فتظهر آثاره في علاقات الأبناء مع بعضهم ، ومع الآباء والمدرسين والأقران ، ولذا كان التحلي بالصبر والحلم ، من قبل الآباء والمربين ، له أكبر الأثر في

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي .

(٢) محمود ماهر زيدان في كتابه : الثواب والعقاب في التربية (ص٥٨) .

نجاح التربية والتعليم .

٢ - الاحترام والتقدير :

ويظهر أثر ذلك ، في اللغة التي نتحدث بها مع الأبناء ، خاصة بعد أن يصدر عنهم ما يعتبر مخالفًا لرغبات الآباء والكبار ، فإن الكلمة الجارحة ، لها وقع أليم على نفس الطفل ، لا يقل عن ألم وقع السوط على بدنه الغض الطري ، ولقد ورد عن عائشة رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ مر بأبي بكر الصديق وهو يلعن بعض رقيقه ، فقال : **لعانين وصدِّيقين ، كلا ورب الكعبة .. فأعتق أبو بكر رقيقه ، وقال : لا أعود** »[1] .

ومن أسباب الجنوح والانحراف ، عدم الاحترام والتقدير ، لأن هذا يدفع بالأبناء ، لالتماس المدح وتقدير الذات والمواهب من الآخرين ، وفي هذا خطر كبير عليهم ، لأنه يساعدهم على الانسلاخ من المجتمع الأسري ، ويؤدي بالتالي إلى طاعة رفاق السوء ، والاستجابة لتوجيهاتهم ، التي غالبًا ما تنقصها الخبرة المتوازنة ، والحرص على مصلحة الأبناء .

يقول صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « إذا اغترب الطفل عن أبيه ، لن يشعر بأهمية القوانين ، ولن يتولد لديه الإحساس بالقيم والضمير ، أو (الأنا الأعلى) ، وخاصة الانفصال عن الأم ، وإذا ضعفت الرابطة بالوالدين ،

(١) رواه البيهقي .

ازدادت احتمالات السلوك الجانح ، وإذا قويت هذه الرابطة ، قلت احتمالات السلوك الجانح ، .. وإذا كان الفقر هو أم الجريمة ، فإن نقص التقدير السليم هو أبوها .. وإن الشخص الذي يلفظه مجتمع ما ، يبتلعه مجتمع آخر » [1] .

ولا يقل خطرًا عن فقدان الأبناء الاحترام والتقدير الأبوين ، الجفاء في المعاملة بين الأب والأم ، لأن هذا له انعكاسه على الأمن ، الذي يشعر به الأبناء داخل الأسرة ، فإن الخلافات الأسرية لها أسوأ الأثر على نفسية الأبناء ، لأن الاحترام يهيئ بيئة اجتماعية آمنة ، ويلحق بهذه الأمور ، التفاوت والتباين بين سلوك الأب وسلوك الأم مع الأبناء .

٣ - تأصيل الحرية الموجهة :

إن الاستبداد في كل الأمور مذموم ، فكيف إذا كان في حقل التربية والتنشئة فإن غالب الانعكاسات السلبية في الأمور التربوية ، تظهر آثارها الواضحة والمبكرة ، في سلوك أولادنا ، بشكل مقاومة عنيفة لما نرغمهم عليه ، وهذه أهون الآثار التي نتلقاها من أبنائنا ، لهذه المعاملة المُغَيِّبة (للديمقراطية) والشورية ، وأسوأ الآثار ما لم يظهر مبكرًا واضحًا ، فيظهر من خلال التخلف الدراسي ، أو الانحراف السلوكي ، أو المرض النفسي ، وهذا الأخير من أخطر

(١) ترجمة د . محمود سلامة غباري (ص١٨٧ ، ١٦٠ ، ١٣٣) .

النتائج ، وحينها يصعب العلاج ويطول .

ومما يعبر عن هذا الاستبداد في التربية ، كثرة الأوامر التي نلقيها على أبنائنا ، افعل ولا تفعل ، إلى آخر هذه القائمة من الأوامر والزواجر ، وهذا الأسلوب يقتل الاستقلالية ، ويعطل تحمل المسؤولية ، وغالبًا ما يطمس المواهب والفروق الفردية لدى الأبناء ، ولا يساعد على حسن التعامل معهم ، فيظهر تمرد الأبناء على الآباء فجأة أو في الخفاء ، ويعني ذلك أن هناك سدًّا عاليًا وجدارًا سميكًا ، قد نشأ بين الولد (ذكرًا أو أنثى) وبين أبويه ، ولذا يقول المربي الفاضل القاضي حسن عشماوي : « يجب أن نحذر إصدار الأوامر .. ويجب أن نقصرها على أضيق الحدود .. لأن الطاعة دون اقتناع يسهل التخلص منها في الخفاء .. وحين نربي الطفل على الإقناع والمشاركة والتفاهم ، فإننا نربي أمة من الأحرار ، لأن ذلك متصل بحق الإنسان في حرية الفكر والقول والعمل » [1] .

ويمكننا أن نقول بلسان حال أطفالنا ، ما عبر به أحد أطفال المسلمين ، عن قوة شخصيته وفهمه لحريته ، أيام خلافة عمر ﷺ ، لعمر بن الخطاب حينما فر من أمامه الأطفال ، وسأله : لِم لَم تلحق بهم قائلًا : « ليس الطريق ضيقًا فأوسع لك ، ولم ارتكب ذنبًا فأخاف منك » .

(١) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص١٧ ، ٤١) .

والمشاركة الفعالة من قبل الأبوين لأولادهما ، في أغلب الأمور التي لهم صلة وثيقة بها ، كالأمور المنزلية ، والحاجات الشخصية ، والرحلات الأسبوعية ، والبرامج التلفزيونية ، يقرب الأبناء من الآباء ، ويظهر رغبات الأولاد الحقيقية ، فيعالج ما شط منه مبكرًا قبل أن يستفحل الأمر ويشذ ، ويعبر عن هذه الأمور أحسن تعبير ، صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث بقوله : « كلما اعتاد الطفل على مشاركة أبويه له ، في حياته وأفكاره واستشارتهما ، وكلما شعر بأنهما جزء من حياته ونشاطه أكثر ، كان أقل ميلًا لإهمال رأيهما ، عند التفكير في فعل مضاد للقانون المحرج لهما .. [1] والضبط الداخلي لسلوك الطفل ، هو علاقته بوالديه ، والخلافات الأسرية تهدم هذه العلاقة وتفسد هذا الضبط ، لأن الأسرة مسؤولة عن تكوين نمط شخصية الفرد » [2] .

ولقد رسخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، هذا المفهوم العظيم بقوله : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا » ، ويمكننا أن نقول في عصرنا الحاضر : لمَ نستعبد أولادنا وقد خلقهم اللّٰه أحرارًا .

ويُقال إن المراهقة لا تظهر في المجتمعات البدائية ، وكذلك المجتمعات القبلية ، بشكلها العنيف أو البارز ، كما

(١) ترجمة د. محمد سلامة غباري (ص ١٣٥) .

(٢) المصدر السابق (ص١٥٦) .

تظهر في المجتمعات الأخرى ، ونلحظ هذا ، في بعض الأسر التي تتوفر على الشروط التربوية والأخلاقية العالية ، وذلك لمشاركة أولادهم في تحمل المسؤوليات مبكرًا ، مما يجعلهم ينخرطون في البيئة الاجتماعية ، وينشغلون في مسؤولياتها ، فلا يشعرون بالفراغ الذي يستهوي البَطَلة ، فيجد الأبناء ذواتهم فيما يحسنون القيام به أولًا ، ويلقون التقدير والاحترام ثانيًا ، وهذان العنصران من أهم العناصر ، التي يحتاجها الإنسان ، لنمو شخصيته نموًا سليمًا .

٤ - العمل والأنشطة :

لاشك أن العمل وخاصة ما كان صالحًا ، له أكبر الأثر على شخصية الإنسان وسلوكه ، فهو ينمي الشخصية الإنسانية ، ويصقل مهاراتها ، ويملأ الفراغ بالمفيد النافع .

يقول صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « يعتبر الاندماج في السلوك والأنشطة التقليدية يمنع الجنوح ، فالتقدير الذاتي والتشبه بالكبار ، له علاقة كبيرة في الوقوع في الأخطاء » [١] .

ويبين هذه الأنشطة فيقول : الألعاب والترفيه مع الدراسة يمنع الانحراف ، وكذلك الجندية ، للمثل القائل : (الأيدي

---

(١) Travis Hirschi ترجمة د . محمد سلامة محمد غباري (ص٣٢٤)
والمراد بالعبارة (أو عدم الوقوع) .

العاطلة هي مجال عمل الشيطان) ولذا فإن حل مشكلة الجنوح ، يتركز في كلمة واحدة هي العمل ، فسوء استغلال وقت الفراغ ، له علاقة بالجنوح » [1] .

ويعلل هذه الأمور صاحب كتاب زلات الوالدين ، بقوله : « الوقاية من المزالق والشهوات ، بالانتساب إلى الجمعيات والنوادي والرياضات ، لأنها تقوي أبدانهم ، وتكسبهم صداقاتهم ، وتملأ فراغهم » ، وخطأ عبارة : « يجب أن تأخذ الشبيبة حقها » لا تلتصق فقط بمن اقترفوا الزلات ، بل تتجاوزهم إلى ذرياتهم ، طبقًا لقانون التناسل ، وهذا يضر بالأجيال ، فالعلم والمنفعة يستقبحان جميع الملذات التي تحقره وتشينه [2] ، .. وقد تكون الألعاب أكفأ مدرسة للإرادة ، ومن الزلات الكبيرة الاعتقاد أن إرادة الأولاد تنمو كلما اتسع نطاق الحرية المعطاة لهم [3] ، وإذا شئنا أن يتعلم الولد كيف يصير رجلًا ، لزمنا أن نتحاشى كثيرًا ، سجنه في البيت ، وألا يشعر برغبتنا الشديدة في ضبطه بين جدرانه ، فيخرج مسرورًا ، ويعود بسرور أعظم [4] ، « لأنه من الثابت أن المجتمع يقوم على تحقيق المطالب المادية ، وأن الجماعة

---

(١) المصدر السابق (ص٢٦٩) .

(٢) فيلكس توما (ص١٦١) لعل المراد : تحقر الطفل أو الشبيبة أو الجيل .

(٣) المصدر السابق (ص١٣٠) .

(٤) المصدر السابق (ص١٥٠) .

تقوم على تحقيق المطالب الروحية » [1] .

٥ – التربية الروحية والمعنوية :

إن من المسلم به اليوم ، أن الإنسان جسد وروح ، فكما أن التربية المادية تعطي ثمارها ، فيما يظهر على الجسد ، من أثر الغذاء الجيد ، واللباس الحسن ، والمعرفة العقلية ، فإن هذه التربية لوحدها ، ظهر خطأها فيما تعانيه الأمم والأجيال ، فيما يعرف بالمشكلات المعاصرة ، التي لم تخلو منها أمة من الأمم ، ولقد أكد على هذه الثنائية ، ديكارت وآخرون من الفلاسفة العقليين ، مما دفع منظمة اليونسكو للمعارف والعلوم أخيرًا ، التأكيد على أهمية الوجدانيات في التربية والتعليم .

قال الكسيس كاريل : « من الواجب أن يحول اهتمام البشرية من الآلات وعالم الجماد ، إلى جسم الإنسان وروحه ، إلى العمليات العقلية والعضوية التي ابتدعت الآلات ، ودنيا نيوتن وآينشتاين » [2] . وكما أننا نتلقى التربية العقلية والمادية عن طريق حواسنا ، فإننا نتلقى التربية الروحية والمعنوية عن طريق شعورنا وقلوبنا ، وإذا كانت الأولى ظاهرية محدودة ، فإن الأخيرة باطنية ولا محدودة ، يقول الرئيس علي عزت بيكوفيتش : « إن المساحة الجوانية للإنسان ، شاسعة تكاد

---

(١) علي عزت بيكوفيتش في كتابه : الإسلام بين الشرق والغرب (ص ٢٥٠) .

(٢) كتاب الإنسان ذلك المجهول (ص١٢) .

تكون لا نهائية ، فهو قادر على [1] أبشع أنواع الجرائم ، وعلى أنبل التضحيات » [2] .

وما تعانيه التربية المعاصرة اليوم ، ليس نقصًا في تعليم صناعة الماديات والحاجات الضرورية ، بقدر ما تعاني من شح في تعليم صناعة الأخلاق ، إذا جاز لنا أن نسميها صناعة [3] ، وإن وسائل الإعلام اليوم وتربيتنا القاصرة ، تصنع كثيرًا من مشاعر أبنائنا ، وأحاسيسهم وأفكارهم وخيالاتهم ، وأكبر مثل على ذلك ، ازدياد دور حضانة المسنين في بلادنا الإسلامية ، التي تعتبر رضى الوالدين ، في الدرجة الثانية بعد رضى الله ﷻ ، وليست هذه الدور لآباء قد حرموا الأبناء والأحفاد ، بل يحملهم أبناؤهم المقتدرون إليها ، وليس هذا الأمر إلا النتيجة الطبيعية للتربية الحديثة المستوردة ، التي ركزت على الماديات أكثر من الوجدانيات ، ويعبر عن هذا التفاوت العالم الغربي ديكلس ، بانتقاده للمربين الوضعيين قائلًا : « وقف ولدان أمام زهرة الحقل ، فالأول تربى على القواعد العلمية ، فشرحها وسمى أجزاءها

(١) الصواب : على ارتكاب على فعل (المؤلف) .

(٢) في كتابه الإسلام بين الشرق والغرب (ص١٨٥) .

(٣) سماها بهذه التسمية : الشيخ عبد الكريم سلمان من كبار علماء الأزهر وعضو محكمة الاستئناف الشرعية بالقاهرة في مقدمة كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه / ز .

والثاني أعجب بجمالها فحملها باحترام إلى والدته ، فإذا رأيتهما تعطي للأول نقطة جيدة ، وتجذب الثاني إليك وتقبله ، ويقصد بهذا أن لا خير في علم لا يقود إلى المشاعر الجميلة ، وتنمية الخيال والإحساس بالكماليات » [١] .

* * *

(١) كتاب زلات الوالدين لفيلكس توما (ص١١٦) .




الفصل الثالث

الجزاء التربوي الحديث

تمهيد :

أولا : الثواب التربوي .

ثانيا : شروط مطلوبة في وسائل الثواب .

ثالثا : العقاب التربوي .

رابعا : نماذج من العقاب التربوي .

خامسا : العقوبات البدنية .

العقوبات مع العبادات مثل الأدوية مع الأغذية ، فهي زواجر فيها معنى التطهير [أبي زيد الدبوسي] .




الفَصلُ الثَّالِثُ

الجزاء التربوي الحديث

تمهيد :

إذا كانت العملية التربوية والتعليمية ، قد تطورت تطورًا عظيمًا ، في العصور الأخيرة ، سواء كان ذلك على مستوى وسائلها أو مناهجها أو نتائجها ، فإن مما لاشك فيه ، أن يتطور الجزاء التربوي تبعًا لذلك ، بل يكون من المستغرب جدًّا ، ألا يرافق ذلك تطور الجزاء التربوي ، بشكل جذري ، لأن لكل عصر دولة ورجال ، وناشئتنا اليوم هم رجال المستقبل القريب بإذن اللّٰه تعالى .

يقول الدكتور عدنان علي رضا النحوي : « الثواب والعقوبة ، كلا الأمرين مقرر في الإسلام ، في ميدان الحياة والتربية ، ولكن لكل منهما ضوابط وقواعد .

فالثواب : تنمية واعية للحوافز ، لتتحدد النية ويتضح المنهج والهدف .

والعقاب : يهدف إلى إلزام الإنسان بحدوده حتى لا يتجاوزها ، وإلى تذكيره بالحق الذي خالفه ، أو الذنب الذي وقع منه ، حتى يقلع ويعود » [١] .

---

(١) في كتابه التربية في الإسلام (ص٢٢٥) .

وبقاء الجزاءات المدرسية والبيتية ، على صورها التقليدية ، أقل ما يقال فيها : أنها تعيق العملية التربوية والتعليمية ، ولا تتواكب مع التطور الهائل في الدراسات النفسية والتربوية ، وهذا التطور طال الشكل والمضمون .

أما من ناحية الشكل : فقد تنوعت أشكال الثواب التربوي تنوعًا كبيرًا ماديًّا ومعنويًّا ، إلى درجة أن أصبح الثواب جُزءًا لا يتجزأ من العملية التعليمية ، تعزيزًا للصواب ، وإشارة على النجاح ، وترسيخًا لقيم التفوق والذكاء ، والصبر والعمل ، بدءًا بعبارات الثناء ، مثل : صح ، وأحسنت ، وجيد ، وذكي ، وممتاز ، .. إلى وضع درجات تقويمية على الموقف التعلمي الصحيح ، .. إلى صرف المكافآت والهدايا والألعاب والأشياء الرمزية ، شرط ألا يصبح الجزاء المادي غرضًا مقصودًا لذاته ، لأنه بهذا قد يصرف الطالب عن القيم النبيلة ، التي يتعلم من أجل تحقيقها ، ألا وهي طاعة اللَّه ، وبناء الوطن ، ونشر القيم .

أما من ناحية المضمون : فإن الثواب قد أصبح فنًّا من الفنون التربوية ، له فلسفته العلمية ، وأبحاثه الأكاديمية ، التي تربطه بنظريات علوم الأحياء وعلم النفس ، وعلاقته بتعزيز السلوك الإنساني ، سلبًا وإيجابًا .

وهذا يستدعي منا دراسة إشكالية الثواب ، فيما يتعلق بالمضمون الجوهري له ، من ناحية الربط التعليلي والتفسيري ،

لتعزيز قيم معينة وأغراض محددة ، وهذا الأمر أصبح اليوم علمًا من العلوم الترويجية ، يستخدم في جميع المجالات الحياتية ، التي يراد الترويج لها أو الاختيار بينها ، فلا أقل من أن نوليه هذا الاهتمام ، فيما يتعلق بفلذات أكبادنا ، تشجيعًا لهم أو توجيهًا لسلوكياتهم ، نحو العالم الأفضل والمجالات الأرحب ، في السلوك والأخلاق والأشياء .

وكما ينطبق ما ذكرنا من تدقيق وتمحيص على الثواب ، ينطبق الأمر على العقاب أيضًا ، بل إن احتياج العقاب إلى التمحيص والتروي فيه أكبر بكثير ، وذلك لأن الخطأ فيه ولو لمرة واحدة ، له أثر كبير على الصحة النفسية والعقلية والاجتماعية ، ولو أردنا أن نتوسع في مفهوم العقاب ، لشمل كل أنواع الإحباطات ، والإهانات ، والمعاملات غير السليمة ، ومنها الإسراف في استعمال السلطة ، وحرمان المتعلم من البيئة الصحية السليمة للتعلم .

يقول د . علي أسعد وطفة : « آثار التسلط التربوي بالغة الخطورة في التربية ، فالإكراه والتسلط في العمل التربوي ، يؤديان إلى توليد مشاعر البغض والضغينة ، والجمود والكراهية والتصلب ، والخجل والقلق والخوف والإثم ، ومشاعر الدونية والنقص ، وفقدان الثقة بالنفس ،وعقدة الإحساس بالذنب والإهمال .. » [١] .

---

(١) كتاب بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي (ص٩١) .

والجزاء التربوي اليوم ، له ارتباط وثيق بعملية التقويم المدرسي ، وربما كان أحد صوره ووجوهه ، وهذا ما يدعونا للتوسع في دراسته ، وابتداع نماذج وصور إضافية وجديدة له ، بحيث يدعم القيم التربوية ، ويعمل على الأخذ بيد الناشئة ، نحو تنمية قدراتهم ، واكتشاف مواهبهم ، وتطوير بيئاتهم وأوطانهم ، ومن ذلك :

أولًا - الثواب التربوي :

« **الثواب** : هو أثر يحدثه المربي في المتعلم ، فور سلوكه سلوكًا إيجابيًا ، فيسبب له راحة نفسية أو مادية ، بهدف دفعه إلى تكرار هذا السلوك الإيجابي »[1] . والاستمرار فيه ، وإليك بعضًا من صوره :

١ - يبدأ الثواب التربوي بالقَبول :

يعني القَبول بالنسبة للطفل والمتعلم إحاطته بالحب والتعاطف ، وكلما كان القبول كبيرًا ، كانت المسافة بين الطرفين قصيرة ، وهذا ما يزيد العلاقة بين طرفي العملية التربوية حميمية ، ويتولد عنها المشاعر الجميلة ، لأنه « لا يستطيع الطالب تمثل المعلومات والمعارف الصادرة عن هؤلاء الذين لا يشعر إزاءهم بالحب والاحترام »[2] .

(١) د. فيصل الراوي رفاعي وأربعة آخرون في كتابهم تطور الفكر التربوي الإسلامي (ص١٦٨) .

(٢) كتاب علم الاجتماع التربوي د. علي أسعد وطفة (ص١٨٨) .

وأعظم ما يدل على قَبول الإنسان منذ اللحظة الأُولى لميلاده ، في ثقافتنا العربية الإسلامية العقيقة ، وهي وليمة استقبال المولود ، يحضرها الأصدقاء والمعارف ، على شرف مجيئه ، والقَبول لا يقتصر على هذه الوليمة فحسب ، بل يستمر بمظاهر متعددة تعبر عنه ، كالتحية والتقبيل ، والسؤال عن أحواله ، والإهداء له ، والإنفاق عليه ، إلى آخر ما يعبر عنه من مظاهر .

٢ – إحسان التسمية في اليوم السابع :

إحسان التسمية وإرفاقها بكنية مناسبة كأبي عمرو ، وأبي خالد .. ، بعد سنتين أو ثلاثة ، لقول رسول الله ﷺ : « **بادروا أولادكم بالكِنى ، قبل أن تغلب عليهم الألقاب** » [(١)] وإضفاء لقب عليه يرضاه ويحبذه – مثل الطيب ، والطاهر ، والبطل ، والفارس .. – إلى جانب هذه التسمية ، فيكون له ثلاثة نداءات : اسم ، وكنية ، ولقب ، وهذه الأُمور التي سنها رسول اللّه ﷺ ، أصبحت منسية في عصرنا الحديث ، إلى درجة أن ينسى الرجل اسم ولده ، بسبب الفوضى في الإنجاب ، والتفكك الأُسري والتخلف المجتمعي ، اقتصاديًّا وأخلاقيًّا ، ولا بأس بترخيم الاسم كذلك ، لما فعله رسول اللّه ﷺ مع بعض الصحابة ، منهم – حبيبته – زوجته

(١) رواه الدارقطني وابن عدي في الكامل عن ابن عمر عن الجامع الصغير للسيوطي برقم (ص٣١١٦) .

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فكان يناديها : « **يا عائش** » ، ولأنجشة ﷺ : « **يا أنجش** » ، ولأسامة : « **يا أسيم** » ، ولقدامة : « **ياقُدَيم** » [1] ، وهذه الأمور تزيد من روابط الاتصال بين المربي والآخرين .

٣ - البسمة والتبسم وبشاشة الوجه :

البسمة تفتح آفاقًا واسعة في العلاقات الإنسانية والاجتماعية ، حتى أن رسول اللَّه ﷺ اعتبرها من الصدقة ، في قوله ﷺ : « **تبسمك في وجه أخيك صدقة** » [2] ، لأن لغة التجهم والصرامة والجفاف ، تعطي نتائج مختلفة عن لغة البسمة والبشاشة والرضى ، ولأن حسن الاستقبال ، وإقبال الوجه ، ونظر العينين ، وحسن الاستماع ، تعبر عن احترام الطرف المقابل ، والبسمة والتبسم اليوم ، فن وصناعة تسويقية ، وأعظم ما يسوق المربي والمعلم ، قيم المعرفة والأخلاق والجمال .

٤ - التقويم الإيجابي والكلمة الطيبة :

الكلمة الطيبة مثل : أحسنت ، وجيد ، وصح ، وممتاز ، وبارك اللَّه فيك ، وأمثالها ، وإشارة المربي إلى الصواب ، فيما يقوم به الأبناء من أعمال ونشاطات ، والدرجات

(١) كتاب الأذكار للنووي (ص٣٠٧) .

(٢) روي في كنز العمال برقم (١٦٣٠٥) ورواه الترمذي برقم (١٩٥٦) عن أبي ذر .

والتقويمات والاختبارات تدخل في باب التقويم الإيجابي ، لأن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع ، يؤثر فيه ظهور أثر سلوكه في الآخرين ، تعزيزًا له ، وإشباعًا لحاجته إلى رضا الآخرين ، وقد يتمثل الآخرون لديه ، حينما يكون عمله عظيمًا ، المجتمع ، أو الوطن ، أو الأمة بأسرها .

ولقد بدأ النبي ﷺ بذلك في أول ساعات الإنسان بين ذويه بعد الولادة ، وذلك من خلال إسماعه كلمات الأذان ، ليبدأ المولود حياته بسماع طيب الكلام ، ولعل الحكمة من ذلك إسماع الحاضرين ، وتعهد الأولياء بالالتزام بمنهج التربية الصحيح المعتمد في تربيته ، ولم يعد ذلك مستغربًا ، بعد ظهور أثر الأصوات ، بل ربما المشاعر على حياة الجنين في بطن أمه ، كما ثبت أثر غذاء و دواء الأم عليه قبل الولادة ، ولذا أثبتت الدراسات أثر الثناء على العمل الحسن ، ومدح المحسن أمام الآخرين عند كل إنجاز طيب ، أو تراجع عن سلوك غير مرغوب ، « وأشارت نتائج البحوث أن فاعلية الثناء ، تكون إيجابية عند استخدام المعلمين له بشكل دقيق ونظامي »[1] .

ولابد من ملاحظة أثر وقع الكلام على سمع الإناث ، أكبر منه على سمع الذكور ، وهذا يستدعي الحذر في

(١) د . محمد عبد الله البيلي في كتابه « علم النفس التربوي وتطبيقاته » (ص٢٠٣) .

الحديث معهن ، والتدقيق فيما يناسبهن ، وقالت العرب في أمثالها : المرأة تسمن من أذنها ، وهذا ما أثبتته الدراسات النفسية مؤخرًا .

ولقد ورد في موجهات استخدام الثناء بشكل مناسب ما يلي :

« أ - كن واضحًا في إعطاء الثناء ، واربطه بالسلوك والنشاط المناسب .

ب - ثمّن وقدر الإنجاز المحقق والمطلوب .

ج - اعز نجاح الطالب لجهده وقدرته .

د - اطلب من الآخرين: وصف المشكلات التي أعاقتهم عن الإنجاز ، وبين طرق حلها .

هـ - اجعل الطالب يركز على تقدمه في الأداء والنجاح »[1].

٥ - الغذاء الطيب الحلال :

البدء بتحنيك المولود بممضوغ التمر ، أو شراب العسل الممدد ، أو أي غذاء حلو المذاق في البيئة ، يعتبر من حسن استقبال المولود ، في أول دروبه في الحياة ، والاستمرار في التغذية الجيدة معه بعد ذلك ، والعناية الخاصة بالطفولة من هذه الناحية ، لما لها من أثر على تعلمه ، ونموه السليم جسميًا

(١) بتصرف من كتاب « علم النفس التربوي وتطبيقاته » د. محمد عبد اللّه البيلي (ص٢٠٣) .

وعقليًا ، وقد علمنا رسول الله ﷺ البدء بالصغار في إطعام الفاكهة ، وتجنيب الجنين كل ما من شأنه التأثير على صحته ، من غذاء أو دواء أو مشروب معلوم مفهوم [1]، وذكرت هذه المسألة على بداهيتها ، لما يلاحظ من تقصير كبير ، في بعض المدارس التي تعتبر نفسها مثالية ، في أدنى مستلزمات هذا الجانب ، ألا وهو ماء الشرب ، ويُطلب من التلميذ ، وهو في قمة نشاطه وحيويته في المدرسة ، أن يلزم المقعد الدراسي الساعات ، وهو يعاني الظمأ الشديد ، لعدم توفره في المدرسة بالشكل المناسب ، وهذا يعتبر عقابًا غير مقصود .

وبالتالي يمكن لحبة حلوى صغيرة ، أن تشكل ثوابًا كبيرًا ، لتلميذ أبدع في التفاعل التربوي ، سواء كان ذلك في البيت أو المدرسة .

ولقد عرفت وشهدت شيخًا كبيرًا علامَّة ، تربطني به صلة قرابة ، ويسكن بجوارنا ، وكنت في السنة الرابعة من عمري ، فكان لا يمر به طفل يسلم عليه ، إلا أخرج له من جيبه ، تلك الحبة من السكر الملونة ، وقدمها إليه ماسحًا على رأسه ، داعيًا له بالعبارات الطيبة ، إلى درجة أن نشم

---

(١) ما ذكرته من هذه البنود السابقة قد يظن أنه من الأمور البديهية لكن التقصير فيها وسوء استخدامها له وقع العقوبات المتكررة على الإنسان عند كل استخدام لها والعكس صحيح لما لها من وقع الثواب وتعزيز بناء الشخصية حال الاستخدام الصحيح المناسب .

منه الرائحة الزكية الطيبة من الطيب ، الذي ما يزال أثره وشذاه في أنوف من عرفه ، إلى يومنا هذا ، مع أنه غادر الحياة منذ قرابة الخمسين عامًا [1] .

ومن هذا الباب ، أمٌّ كانت ربة بيت مثالية ، تقوم بإعداد مائدة عامرة لأولادها ، تشبه وتفوق أرقى المطاعم ، مكافأة لأولادها على مناسبة معينة ، كنجاح ، وتفوق ، وتعاون ، متدرجة مع تطور وتقدم أعمار أولادها ، لتصرف تطلعهم إلى الرغبة في طعام المطاعم ، أو الإعجاب به ، محافظة على جاذبية التآلف الأسري ، وتحقيق رغباتهم في إطارها [2] .

٦ - ضمة الأم لولدها الصغير [3] :

يحتاج الصغير قبل الكبير وإلى السنة العاشرة ، أو الثالثة عشرة ، حسب روايات الحديث الآمرة بتعليم الصلاة ، إلى ضمة الأم حين خروجه من البيت إلى المدرسة ، أو إلى النوادي الثقافية والرياضية ، وهذه الضمة إلى صدر الأم ، أو من يقوم مقامها ، لها الأثر الكبير عليه ، في نقل شحنة عاطفية دافئة إليه ، ويمكن استمرار هذا الأمر بعد هذه السن ،

---

(١) هو الشيخ محمد المسعود والد مفتي بلدة الباب / حلب الشيخ سعيد المسعود رحمهما الله .

(٢) من برنامج تلفزيوني لقناة دبي الفضائية عن المكرمين في جائزة محمد ابن راشد للأم المثالية عام ٢٠٠١م .

(٣) ذكرًا أو أنثى .

بشكل قبلة تطبع على وجنته ، أو كلمة طيبة ، أو دعاءً حسنًا ، فيكون لها الأثر الكبير ، في حفظه من استقبال العواطف الناقصة أو المشبوهة خارج البيت .

هذا الثواب المعزز ، يعطيه دفعًا قويًّا للسعادة والنشاط والإبداع ، وحب العودة إلى البيت والأسرة ، وهو ممتلئ بحصاد اليوم ، من المعرفة والتجربة والنجاح ، ويحسُن استقباله في عودته كذلك ، أليس هذا ما يشد كل أب وأم ، ومسؤول أسرة ، إلى بيته وأسرته ، وأهله وعشيرته ، ولا ينسى الأب دوره في هذه المسألة ، أليس هذا ما كان يصنعه رسول اللّه ﷺ مع صغاره ، حتى أنه ذهب مرة مع بعض أصحابه ، إلى عوالي المدينة ، ليس إلا ليقبل صغيرًا له ، يُحتضن في بيت من بيوتها ، ثم انقلب إلى عمله وجهاده [١] .

ولقد تناسينا مثل هذه الأمور ، أو قصرنا فيها ، بدعوى التربية المحافظة التقليدية ، فخسرنا ثقافتنا الحقيقية ، وأضعنا الاستقرار النفسي والخلقي لأبنائنا ، فأخذوا في التلقي عن الثقافات الدخيلة ، عبر شاشات الرائي ، والصحبة السيئة ، تعويضًا لما حُرموه في بيوتهم ، وتخفيضًا للتوتر الذي يلاقوه ، من شدة وصرامة المعاملة في مدارسهم .

---

(١) رواه مسلم عن أنس بن مالك - وولده ذاك إبراهيم .

٧ - الهدية والمكافآت المادية :

الهدية والمكافآت تعتبر تعزيزًا للنجاح والسلوك الحسن، ولو كانت رمزية ، ويستحسن ربطها بهذا السلوك وذاك النجاح ، وأن تكون مناسبة لأعمار الأولاد واحتياجاتهم ، وأن تكون الهدية اقتصادية ومعمرة ، إلا إذا كانت طعامًا أو شرابًا ، وأن تكون في المناسبات فحسب ، لئلا تبتذل بكثرتها ، وسهولة الحصول عليها ، فيقل تأثيرها وقد ينعدم ، وربما أعطت تأثيرًا عكسيًّا إذا لم تكن بحسب هذه الشروط ، وهي من سنن الإسلام ، لقول النبي ﷺ : « **تهادوا تحابوا** » [1] .

٨ - الاهتمام بالإجازة الأسبوعية :

الاهتمام بالإجازة الأسرية الأسبوعية له أثر كبير على زيادة الروابط الأسرية من ناحية ، وله أثر هام على تجديد نشاط الأفراد من ناحية أخرى ، ويمنع من ترسب الملل في السلوك الاعتيادي اليومي الدائم ، ولا زلنا في منطقتنا العربية والإسلامية ، نستهين بهذا الأمر ، ولا نوليه الاهتمام المناسب .

إذا رغبنا أن يكون أولادنا ناجحون سعداء ، فهذا الأمر يحمّلهم جهدًا غير عادي على مدى أسبوع ، يؤدي إلى إحداث توتر في الجهاز العصبي ، إذا لم تفرغ شحنته بلون

(١) حديث رقم (١٥٠٥٥) عن أبي هريرة في كنز العمال .

من التجديد والتغيير والترويح عن النفس - بالخروج من البيت لصلة رحم ، أو في رحلة ، أو زيارة معارف وأصدقاء - أحدث ضيقًا في نفوس الأبناء خاصة ، وربما في نفوس الكبار كذلك ، لذا قيل : « **روحوا القلوب ساعة فساعة** »[1] ، وقال علي ابن أبي طالب كرم اللّه وجهه : « أجمّوا هذه القلوب ، فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان » [2] .

يقول د . فاخر عاقل : « إن الإنسان حين تستنزف قواه . . يهبط مستوى محاكماته ، وتضعف إرادته وبذلك تتعطل شخصيته ، لا عن النماء فحسب بل وعن الإفادة من معارفها السابقة ، وخبراتها الماضية ، لمواجهة حاضرها ومشكلاته .. وعلى هذا فان جميع ما تقدم يقودنا إلى نتيجة تربوية وحيدة .. ألا وهي وجوب حرص التربية الحديثة ، على تزويد الإنسان بعادات الاستجمام ، وتعليمه كيف يستريح [3] .

٩ - كتابة الاسم في لوحة الشرف :

من أنواع الثواب إشهار الناجح والإشادة به ، سواء كان في المدرسة أو البيت أو النادي ، وربما يرفق بصورة شخصية ،

---

(١) حديث رقم (٥٣٥٤) رواه أبو داود مرسلًا عن ابن شهاب من كنز العمال .

(٢) رقم (٤٤٨٤) من الجامع الصغير .

(٣) في كتابه معالم التربية (ص١١٣) .

أو تدوين ذلك في سجل خاص ، ولا بأس أن يجعل ذلك في بطاقات ، توضع في صندوق ، تستخرج بعد فترة زمنية للتكريم ، وهذه الطريقة نافعة جدًّا ، خاصة حال وجود مشكلات سلوكية مع بعض الأبناء ، يراد تعديل السلوك فيها إلى الأحسن والأفضل ، وفي الإمكان صنع أوسمة صغيرة ، تدل على نجاح ما ، تعلق على صدر الطالب ، أو لوَّاحة مفاتيح ، أو أقلام يُنقش عليها عبارات تكريم معينة ، أو ما يشبه ذلك من وسائل كثيرة ، يُبتدع فيها تكريم وتشجيع الأبناء ، بما يتناسب مع العصر ، ومستلزمات تفوق الأمة ، وإعادة حضورها الحضاري والعالمي .

١٠ – الإعلان عن جوائز تنافسية :

أثر جوائز المسابقات كبير ، سواء كانت جوائز تقديرية أو تشجيعية أو تثقيفية ، يتنافس فيها الأبناء ، وتعطى لمن يكون حصاده السلوكي ، أو العلمي ، أو الأخلاقي ، أو الديني ، أو الثقافي ، مرْضيًّا بدرجة معينة ، حسب شروط المسابقات المعلن عنها ، مع الدعاية المناسبة لها ، لأن الملاحظ أن كثيرًا من هذه المسابقات ، تأتي إلى مدارسنا ومراكزنا متأخرة ، ولا يعلم عنها إلا قلة قليلة من الطلاب أو الأبناء ، الذين امتهنوا هذا اللون من التنافس مع أقرانهم ، أو كانوا أكثر حرصًا على النيل المادي ، مما يفقد هذه المسابقات أهميتها ، التي لو وظفت توظيفًا صحيحًا ، لكانت لونًا من ألوان التعليم ،

وطريقة من طرقه الكثيرة النافعة ، المعدلة للسلوك والمعززة له .

ملاحظة : هذه الوسائل ليست نهاية ألوان الثواب التربوي ، سواء كانت مدرسية أو بيتيه ، فبالإمكان تطوير وابتداع أشكال أخرى ، من الوسائل والطرق ، التي تعتبر ثوابًا معززًا ، لكل سلوك جيد مراد تأكيده ، شريطة أن يتوافر بالوسيلة عدة أمور منها :

ثانيًا - : شروط مطلوبة في وسائل الثواب :

١ - أن تكون مناسبة لعمر الأبناء وجنسهم .

٢ - أن لا تكون الوسيلة مبالغًا فيها .

٣ - أن تكون المكافآت متدرجة في القيمة المالية والتربوية .

٤ - أن تكون المكافآت تهدف إلى تعزيز قيمة تربوية محددة .

٥ - أن تكون بعض المكافآت قابلة للتخزين والحفظ لمدة طويلة .

٦ - أن تكون بعض المكافآت تكمل حاجات الأبناء ، ورغباتهم .

٧ - أن تكون المكافآت متنوعة ، ودائمة ، ومتباعدة ، ومختلفة .

٨ - أن يرفق تسليم المكافأة والثواب ببيان السبب المبرر لها .

ثالثا - : في العقاب التربوي :

« **أما العقاب** : فهو أثر يحدثه المربي في المتعلم ، فور سلوكه سلوكًا غير مرغوب فيه ، فيسبب له ألما نفسيًّا أو ماديًّا ، بهدف ردعه ومنعه من تكرار هذا السلوك السلبي » [١] .

ولا بد في البدء من القول ، أن الصغير عمومًا ، ليس من أهل العقاب ، حتى سن البلوغ ، لكن هذا لا يعفينا من توجيهه وتربيته ، تهيئة له لتحمل مسؤوليته في سن البلوغ والرشد ، وليتكامل توجيهنا له ، لا بد من أن يكون الجزاء في الحالتين : السلبية ، والإيجابية .

وقبل البدء في ذكر أنواع العقوبات التربوية ، لابد من أن نعرّج على موقف التربويين منها ، خاصة أنه كثر اللغط حولها ، بدعوى الحرية والتحديث ، مع أننا لم نسمع عن حرية تسيء للآخرين ، في أية شريعة من الشرائع السماوية أو الوضعية ، وعليه أكدت الدراسات النفسية أخيرًا ، على أن الدلال المفرط لبعض الأبناء ، من أكبر المسببات لانحرافهم وإجرامهم .

جاء في كتاب أساسيات علم النفس التربوي ما يلي :

---

(١) د. فيصل الراوي رفاعي وأربعة آخرون في كتابهم تطور الفكر التربوي الإسلامي (ص١٦٨) .

« إن التفكير الذي كان سائدًا ، هو أن الثواب يقوي التعليم ، وأن العقاب يضعفه ، ولكن التجارب الأخيرة في هذا المضمار ، قد غيرت من هذا الرأي السائد وعدلته ، صحيح أن الثواب يقوي التعلم ، ولكن العقاب لا يضعفه بنفس الدرجة .

إن الاستجابة الذكية للعقاب ، هي أن نقوم بعمل شيء مخالف ، إن الثواب يميل إلى قولبة السلوك ، بحيث أننا نكرر الاستجابة المثابة ، بينما العقاب يشجع على تباين الاستجابات ، ... إلا في حالة العقاب الشديد ، فإنه يؤدي إلى قولبة السلوك ، بدلًا من جعله مختلفًا [1] .

وكما ذكرنا في حال الثواب موجباته ، نذكر هنا في حال العقاب موجباته ، ولا بد من ذكر بعض الفوارق ، بين كل من حالتي الثواب والعقاب :

مقارنة بين حالة الثواب والعقاب :

١ - أن حالة العقاب لا توجب العقاب حتمًا لازمًا .

٢ - أن غض الطرف عن المخالفة أمر مطلوب ، خاصة في المرة الأولى .

قال الدكتور محمد عبد اللّٰه البيلي : « أوضحت أعمال السلوكيين ، أن باستطاعة المعلمين تحسين سلوك طلبتهم ،

(١) د . محيي الدين توق د . عبد الرحمن عدس (ص٢٣٣) .

عن طريق تجاهل مخالفي النظام ، والثناء على الطلبة متبعي النظام » [1] .

ولقد ذكر هذه المسألة ، كثير من علماء الأمة التربويين ، منهم الغزالي ، وابن مسكويه ، والقابسي وآخرون .

٣ - أن التوعد بالعقاب لا يستلزم إيقاعه دومًا ، وأن الإخلاف فيه لا يُذم ، شرط أن لا يكون على الدوام ، لئلا يثبت في أذهان الأبناء كذب المربي ، وضعف صدق كلمته .

٤ - أن يكون العقاب مناسبًا لسن الأبناء وجنسهم .

٥ - أن لا يكون العقاب على الخطأ ، لأن الخطأ مرفوع مدفوع ، لقول النبي ﷺ : « **رفع عن أمتي الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه** » [2] .

٦ - أن يكون العقاب على أمر واقع عمدًا والتقصير فيه ظاهر ، لا على أمر يتوقع حدوثه .

٧ - كما أنه لا عقاب بلا نص في عالم الكبار والقانون ، فكذلك لا عقاب بلا تحذير في عالم الأبناء والصغار .

٨ - كما أن أثر المكافأة يقع ببيان سببها ، فكذا العقوبة ، لا بد من بيان سببها قبل إيقاعها ، مع بيان

---

(١) في كتابه « علم النفس التربوي وتطبيقاته » (ص٢٠٣) .

(٢) رقم (٤٤٦١) رواه الطبراني وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ﷺ وحسنه النووي .

السلوك الصحيح المنجي منها ، والمؤدي إلى النجاح والثواب .

٩ - الإقناع بأثر العقوبة جزء من الإصلاح بها ، وكف لرد الفعل السلبي تجاه مُوقِعِها ، والنظام المخطط لها .

١٠ - المكافآت تقوم بها جهات كثيرة ، لكن العقوبة لا يقوم بها إلا ولي الأمر حصرًا ، كما أسلفنا ، ومن أُذِنَ له بذلك .

١١ - لا فرق بين الثواب والعقاب في أنهما لا يُقَدَّما حال السخط ، ولا حال الغضب .

١٢ - كما تُدرأ الحدود بالشبهات في عالم الراشدين ، يستلزم أن تُدرأ العقوبات بالشبهات والمبررات في عالم الأبناء والتلاميذ .

وبعد ذكر هذه الحيثيات الأولية في إجراء العقوبات التربوية ، وبيان الفرق بينها وبين الثواب التربوي ، فإليك جملة من أشكال وألوان العقوبات التربوية ، على سبيل الأمثلة ، وليست على سبيل الحصر .

رابعًا - : نماذج من العقاب التربوي :

١ - الرفض والإباء للسلوك غير المرغوب :

يراقب الطفل أو التلميذ في سلوكه رضى ولي الأمر ، ليحصل منه على الموافقة والإعجاب لتأكيد الذات ، فإذا لم يجد القَبول والتأييد ، انكفأ عنه إلى ما يحقق له ذلك ،

ويمكن أن يُعبَّر عن الرفض بانقباض الحاجبين ، أو تقطيب الجبين ، أو الإشاحة والإعراض ، أو الإشارة بإصبع السبابة يمينًا ويسارًا ، أو بكلمة لا ، والأحسن منها وأجمل ، لا يا فلان - يناديه بأحب اسم إليه أو كنية أو لقب - فإذا استجاب وكف عنه أثنى عليه ، وضمه إلى صدره أو قبله إن كان أبًا أو أمًّا ، ولا بد هنا من التأكيد على أن الرفض منصب على السلوك غير المرغوب ، وليس على شخص المخالف وذاته .

إن رفض الآباء غير المبرر لأطفالهم وأبنائهم ، ينتج عنه التأثيرات التالية :

« أ - الرغبة في الانتقام من الناس .

ب - الرغبة في الظفر بالحنو أو الاهتمام .

ج - الشعور بالهوان والقلق .

د - إبداء الشعور العدواني »[1] .

٢ - سحب التسمية الحسنة :

التشكيك في أن من اسمه كذا لا يفعل ما فعل ، أو صياغة ذلك بأسلوب الاستفهام ، يا فلان - باسمه - أأنت

---

(١) كتاب علم النفس التربوي الجزء الثالث الصحة النفسية في التعلم / تأليف آرثر جيتس وأربعة آخرون ترجمة د . إبراهيم حافظ ومحمد عثمان إشراف د . عبد العزيز القوصي (ص١٠٠) .

تفعل كذا إشارة إلى أنه في الحاضر لا يفعل ما فعل ، ولا يكرره في المستقبل كذلك ، وقد يكون العقاب مثل ذلك في الكنية واللقب ، مثال : الطيب لا يفعل ما فعلت ، والفارس : لا يأتي بما قمت به ، ومثل ذلك من الأقوال ، وقد يُستشهَد بما قاله أبو بكر الصديق ، لابنه عبد الرحمن : « يا غنثر »[1] وهي كلمة شتم معناها : يا أحمق ، أو يا ثقيل ، أو يا لئيم ، لما اعتبره تقصيرًا في حق أضيافه ، تعليمًا منه لولده كرم الضيافة ، وكأن التقصير فيها ، يؤدي إلى ذلك الوصف وتلك السمة ، ومثل ذلك أن يقال للمتفوه بالكلمة البذيئة : يا بذيء ، وللمؤذي حيوانًا : يا ظالم ، وللمتعدي على زملائه وأقرانه من غير بلده أو عشيرته : إنك امرؤ فيك عنصرية .

ولا بد من الحذر الشديد ، مع أمثال هذا النوع من الكلام الجارح ، الذي يعتبر أحد أنواع العقوبات المعدِّلة للسلوك ، بناء على رفض هذه الأوصاف بالطبع ، مما يؤدي إلى التخلي عن السلوكيات المؤدية إليها ، وهذا لا يتأتى إلا مع من تمتع بشفافية ذوقية وأخلاقية ، مع الإقلال من هذا النوع من الكلام ، والابتعاد عنه بالكلية في البيئات السيئة ، التي لا تعرف مثل هذه الشفافية ، لأنه لا تأثير لها في أبنائها .

والعقاب الكلامي : بالشتم واللوم والتأنيب والتوبيخ

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

والنقد ، قاعدته الرئيسة الحوار والجدل والمناقشة ، وهذا يختلف من شخص إلى آخر ومن حالة إلى غيرها ، والمربي الحصيف يختار من هذه الألوان والأشكال ، ما يناسب نوع المخالفة المراد كفها ، والقيمة التربوية المراد تعزيزها ، حسب البيئة والعوامل المسببة للمخالفة ، والشخصية التي تستجيب لمؤثراتها أو لا تستجيب ، وفي حال يكون ردها على مثل هذا التأديب ردًّا سلبيًّا ، يؤدي إلى عكس المقصود ، عندها تنتفي الوسائل بانتفاء المقاصد ، وهذا اللون من العقاب ، ينبغي أن يكون محدود الاستعمال ، ومقيد بشروط ، ونادر الحدوث ، وأقل أنواع العقاب .

٣ - إظهار عدم الرضا :

إظهار السخط بالعبوس والتجهم ، مع الحرص على إظهار الرحمة والمحبة للمُعَاقب ، لئلا يؤل ذلك رفضًا له وكرهًا ، ويتم إقناعه بالقصد من العقوبة وهي تعديل السلوك إلى ما هو نافع ومفيد ، لتتحقق الاستجابة الإيجابية ، ولا بأس من إظهار هذه العقوبة ، والتعبير عنها بأشكال متعددة ، شريطة ألا تمس شخص المعاقب وذاته بالكلية ، وإنما الحرص على إظهار أن المقصود بها ، الفعل أو السلوك أو الخُلُق غير المرغوب فيه ، أما « كونه عبوسًا أبدًا من الفظاظة الممقوتة » [1] .

(١) علي بن محمد القابسي و. (٣٢٤هـ) عن كتاب تطور الفكر =

٤ - التقويم الموضوعي والكلمة المؤلمة :

إن عبارة خطأ ، أو ليس بجيد ، أو عمل مرفوض ، أو حاول مرة أخرى ، والدرجات السالبة ، وتصحيح الاختبارات والتقويمات والامتحانات السلبية الدرجات ، تعتبر من هذا البند ، وكلمة هذا العمل غير صحيح أو غير سليم ، وهذا الموقف منك ليس بطيب أو ممنوع أو مرفوض أو غير مقبول ، كلها تصب في هذا الجانب ، على أن نتوجه في التقويم إلى العمل لا إلى صاحبه ، فقد نبه الأخصائيون إلى خطورة قول المربي : أخطأت أو أخطأتِ ، لأن هذه العبارة متوجهة إلى الشخصية لا إلى سلوكها ، وإذا أرفق هذا التقويم السلبي ، ببيان السلوك الإيجابي المطلوب ، كان أوقع في النفس ، لأن بيان الصواب والسلوك السليم ، تبرير للتقويم السابق ، وتوجيه للحل الصحيح المطلوب .

٥ - الطعام والشراب الخشن :

لا يعاقب بالطعام إلا من كان في مراحل متقدمة من العمر ، كابن العاشرة مثلًا ، وذلك قياسًا على جواز ضربه في هذا السن عقابًا ، بجامع أن كلاهما إيلام ، ولا يظن أن الإيلام المقصود هنا مادي ، وإنما هو إيلام معنوي منصب

= التربوي د . سعد مرسي أحمد (ص٢٤٢) .

على البدن ، حين تكون المخالفة متقدمة ، ولا تنفع العقوبات السابقة ، فتكون العقوبات المادية تنبيه من المربي والوالدين ، إلى أن التسامح لا يدوم ، والأفعال لها آثارها ، ومن المستحسن أن نطابق بين الفعل وعقوبته ، ويمكن هنا أن تجمع الأم بين الطعام الناعم والخشن ، إذا قصر الابن في واجباته المدرسية والمنزلية ، بأن تفرض عليه أن يأكل كسرة من الخبز الجاف مثلًا ، ولا يُعفى من واجبه السابق ، وإلا تزداد هذه العقوبة في مرات قادمة .

وهذه العقوبة لها مردود تربوي : تعلم الأبناء الصبر والتحمل من ناحية ، وتقدير النعمة بالتعرف على أضدادها من ناحية أخرى ، وتذكرهم بالمحرومين الذين يداومون على تجرع أمثالها ، وربط هذه المعاني بهذه العقوبة التربوية ينمي خيال الأبناء ، ويستخرج مشاعرهم الإنسانية الدفينة تجاه الآخرين ، ومنهم الوالدين والمربين ، الذين يقومون برعايتهم والحرص على منفعتهم ، فلا أقل من أن يردوا إليهم طرفًا من جميلهم ، وهو الاستجابة إلى توجيهاتهم النافعة ، وقد يقول قائل : كيف يكون الشراب خشنًا أقول : بأن يكون أقل برودة في الصيف مثلًا ، أو تقليل سكر الشاي أو الحليب .

ومثال آخر الحرمان من الفاكهة ، أو الحلويات التي تقدم بعد الوجبة ، أو تقليلها ، والمربين بما فيهم الوالدين ، ومن يقوم مقامهما ، يمكنهم أن يخترعوا أمثال هذه الأمور ،

بحكمة وروية ، شريطة ألا تصبح انتقامًا وتعذيبًا وإرهابًا وتسلطًا ، لأن المربي الحكيم الحصيف ، يستطيع بشفافية رحمته ورأفته ، أن يجعل من العقوبة درسًا مسليًّا ، وفكاهة مروحة عن النفس مللّها ، لأننا يجب أن نعلم أن أبناءنا قبل أن يبلغوا الرشد لا يُعانَدون ، لأن لهم من الصبر غير المنطقي ما لا حدود له ، والسبب في ذلك أنهم لم يبلغوا الرشد أولًا ، ولم يتحملوا المسؤولية بعد ثانيًا .

٦ - ضمة الأم أو الأب ولدهما إلى الصدر :

ضم الوالدين ولدهما أو حرمانه منه ، ووضع اليد الحانية على الرأس أو الكتف ، مع إظهار الخوف والأسف مما فعله ، مما هو غير مرغوب ، يعتبر عقابًا ، ويستحسن إرفاق ذلك بحوار هادئ عن أضرار السلوك الذي فعله ، كشتم أو ضرب أو إيذاء للآخرين ، أو سرقة أو كسر أو تخريب لحاجات الغير ، أو قصَّر في واجباته المدرسية أو المنزلية ، مع بيان فضائل الأعمال الإيجابية المقابلة لأفعاله تلك ومنافعها ، ويطلب منه تدارك ما يمكن تداركه مما فعل ، فإذا كان شتمًا بأن يعتذر من صاحبه ، أو ضربًا بأن يطلب من صاحبه الاقتصاص أو المسامحة ، أو إتلافًا لحاجات الآخرين بأن يعوض عليهم ما أتلفه أو يصلحه ، والتقصير في الواجبات المدرسية بالتدارك والتعويض .

ودور المربين هنا والأهل ، مساعدة الأبناء بالحوار

والمناقشة ، والأفكار والاقتراحات ، وليس بالعون المادي المباشر ، لأنه يضر بالعملية التربوية ضررًا بالغًا ، إذ أن حال الأبناء في هذه المرحلة حال إتكالية في أصلها ، فإذا فشل الولد أو البنت فيما وكل إليهما فيه التصرف ، فالواجب أن يكون الحل منهما وبجهدهما ، ويتحملا المسؤولية عن أفعالهما لوحدهما ، وإلا اتكلا على من يتدارك الأمر بالحلول ، ويشعرا بضعف تحمل المسؤولية عن أنفسهما ، ويرسخ ذلك روح عدم المسؤولية .

والفرق بين هذا الضم العقوبة ، وبين الضم السابق في حقل الثواب ، أنه هنا مرفق بالأسى والحزن أو التأنيب والتوبيخ ، فتقول الأم أو المربي للخاطئ : أنا حزينة مما فعلتَه ، أنا غير راضية مما فعلتَه أنا جد آسفة ، الحق أن لا تقوم بما قمت به ، لأن ضرره كذا ، ويؤدي إلى مخاطر كثيرة لا أنت ترضاها ولا أنا ، وقد تحرمه من هذا الضم لمرة أو أكثر ، على أن لا تجاوز الثلاث ، ثم تعود إلى سابق عهدها ، وتدفع به إلى إصلاح ما أفسد ، ورتق ما مزق .

٧ - الحرمان من الهدية ، والمكافأة المادية :

يعتبر الحرمان من الهدية والمكافأة شكلًا من أشكال العقاب ، طالما أنهم اعتبروا فيما سبق ، شكلًا من أشكال الثواب ، على أن يوضح ذلك للمعَاقَب ، لئلا يفسره تحيزًا للآخرين وظلم له وكراهية ، ويستحسن أن يبشر بتعويض

ذلك له ، إن قام بما يجب عليه أو أنجز ما قصر فيه ، شرط أن لا يكون مسابقة ، يدخل فيها عنصر الوقت أو الزمن .

ولابد من التنبيه إلى أن الحرمان من المصروفات اليومية ، لا يصلح اعتباره عقوبة تربوية ، لما له من أثر سلبي كبير على شعور الأبناء ، تجاه أولياء أمورهم ، الذين يستخدمون الحرمان من المصروفات كعقوبات ، لأن المصروف اليومي أو الأسبوعي ، يعتبر حقًّا ثابتًا من حقوقهم الأصلية ، فلا تنازل عنه ولا مساومة عليه ، مهما كان هذا المصروف كثيرًا أو قليلًا ، لأنه لا ينظر إليه بهذا المنظار ، بل يعتبر فيه مقياس الحاجة والإمكانية والمماثلة للأقران ، بلا تقتير ولا تبذير .

٨ - اختصار واختزال الإجازة الأسبوعية :

حرمان الأبناء من الإجازة أو من جُزء منها ، خاصة إذا كان الأبناء متعلقين بها ، يعتبر عقابًا تربويًّا ، لأن هذه الوسيلة تتضمن أخلاقيات كثيرة وسلوكيات متعددة وبرامج مختلفة ، مما يجعلها قابلة للتجزيء وتطبيق الحرمان بها ، إذا جاز لنا أن نسميه بهذه التسمية ، على جُزء أو أكثر من أجزائها ، وربما جعلت بعض التكليفات فيها ، كعقوبات للمخالف أو المقصر ، مثال ذلك : عدم ركوبه في المكان المختار المحبب إليه ، أو عدم السماح له بإحدى ألعاب الرحلة ، أو حرمانه من التصوير فيها ، ولا يحرم من مصروفها الخاص ، لأن هذا قد يشعره بالحسد لإخوانه وأقرانه ،

ولا يحرم من كامل الرحلة ، التي تخرج فيها الأسرة والأهل ، أما الحرمان من الرحلة المدرسية فممكن ، إذا لم يكن فيها وعد مسبق بها ، ويمكن أن يحوَّر الحرمان فيها إلى تكليف ، كزيادة نصيبه من جمع الحطب ، أو تكليفه بالمسؤولية التامة عن نظافة المكان ، مع أن هذا الأمر من القواعد العامة على الجميع ، وغيره من التكليفات ، التي يمكن استنباطها في مثل هذه الوسيلة ، والحكم الفصل في ذلك ، الملاءمة والمُناسبة للظرف والشخص ونوع المخالفة ، ورائد المربي وولي الأمر في ذلك ، الحكمة والموعظة الحسنة .

٩ - صندوق الشرف وسجل الأعمال :

يمكن استثمار المحاسبة المؤجلة في الإصلاح ، بأن تكتب بطاقة بالمخالفة المميزة باسم صاحبها ، وتوضع في صندوق الشرف ، ويطلب المربي من صاحبها ، أن يقوم بتكفير فعلته بما تستوجبه ، وتوضع بطاقات السلوك الصالح في الصندوق ، ليُفتح في فترات محددة للمحاسبة ، ويقوم مقام الصندوق سجل المتابعة ، الذي يدون فيه المعلمون والمربون ملاحظاتهم ، ويظهر أثر هذه المتابعة ، في نهاية الشهر أو الفصل أو المرحلة ، فإذا نسي الطالب كتابه ، أو أهمل أداء واجبه ، أو أساء إلى أحد زملائه ، دوَّن ذلك في هذا السجل ، ليطَّلع عليه أولياء الأمور حين اللزوم ، وما تقوم به الإدارة المدرسية والأخصائيون ، من إنذارات أو لفت نظر ،

واستدعاء ولي الأمر أو كتاب فصل أو طرد ، للطلاب المشاغبين والأبناء المشكلين ، يشكل وسائل تعديل للسلوك ، ونوع من العقاب والردع لهم ، وعدلًا مع الطلاب الملتزمين ، وتعزيزًا لسلوكياتهم المرضية ، وكفًّا لهم ولأقرانهم عن السلوكيات غير المرغوبة ، وإن اختلف اتجاه القصد فيهما .

١٠ - الفشل في تحقيق المطلوب في المسابقات :

الحرمان من مكافآت المسابقات ، يعتبر عقوبة ذاتية طبيعية ، ناتجة عن التقصير في الإنجاز ، وضعف النشاط في العمل ، لكن علينا الحذر من غبن الأبناء حقوقهم ، وذلك بالمساواة بينهم ، والعدل في محاسبتهم ، واجتناب المحاباة أو التمييز ، على اختلاف أشكاله ، ولئلا يصبح العقاب بالحرمان من جوائز المسابقات ظلمًا ، يمكن أن تدعَّم بالثواب المعنوي ، والذي يعتبر التفاضل فيه عقوبة وعدل ، باحتساب درجات الجهد بين المتسابقين ، وتدوينها في سجل المتابعة ، وحفظها في صندوق المحاسبة بين الأبناء ، لينال كل منهم في نهاية المرحلة ، الجزاء المناسب ، والمعزز المكافئ للسلوك .

خامسًا - : كيفية اختيار العقوبة :

قد يسأل مربٍ أو رب أسرة ، عن العقوبة التي

يستخدمها مع تلميذه أو ولده ، وبديهي أن المربي (أي مرب) عاجز عن إعطاء جواب جامع مانع ، على مثل هذا السؤال ، ذلك بأن لكل طفل حالة خاصة ، تختلف عن أية حالة أخرى ، ولكل بيت ظروفه الخاصة ، كما أن لكل مجتمع قواعده في التعامل ، وأعرافًا وتقاليد تختلف عن قواعد المجتمعات الأخرى ، وأعرافها وتقاليدها ، مما يجعل من العسير على المربي أن يزود الوالدين (والمربين) بوصفات محددة [1] .

ولما يُتوقع من ردة الفعل السلبية أو الإيجابية على العقاب ، فيستحسن دراسة الحالة التي تستوجبه دراسة متأنية ، وشخصية المعاقَب هي الأساس في هذه الدراسة ، من ناحية تكوينه النفسي وبيئته الاجتماعية ، وظروفه وتجاربه التي يمر بها ، وقبل اختيار العقوبة المناسبة ، لا بأس من اعتماد الشروط التالية :

١ - حاور المخالف بكل هدوء .

٢ - ابحث له عن فرصة للإصلاح .

٣ - رتب العقوبات الممكنة ، واعرضها عليه ليختار منها ، إن أمكن .

٤ - أوقع العقوبة عليه بعيدًا عن الآخرين ، إن أمكن .

---

(١) د . فاخر عاقل في كتابه معالم التربية (ص٣٣٤) .

٥ - أقم علاقة إيجابية مع المخالف .

٦ - رغِّبه بالثواب إن أصلح ما أفسد .

٧ - خذ بيده إلى طريق النجاح ناصحًا مرشدًا .

* * *




الفصل الرابع

أثر العقوبات البدنية

تمهيد :

أولا : أضرار العقوبات البدنية .

ثانيًا : أقوال من منع الضرب في التربية .

ثالثًا : أقوال من أجاز العقاب في التربية .

رابعًا : الإرادة الحرة صانعة القرار .

خامسًا : البيت مدرسة إن أعددته .

تعليمنا في المدارس يُزكي فينا الحضارة فقط ، ولا يساهم بشيء في ثقافتنا [الرئيس علي عزت] .




الفَصِلُ الرَّابعُ

أثر العقوبات البدنية

تمهيد :

بعد أن ألقينا الضوء على العقوبات البدنية ، وقمنا بدراستها وتحليلها من وجهة النظر المعاصرة الحديثة ، لابد من أن نعرِّج على موقف التربويين منها ، جاء في كتاب آباء وأبناء ، تحت عنوان العقاب البدني ذلٌّ وخنوع ما يلي : « لقد أجمع المربون والمصلحون على إبطال العقاب البدني ، والتحقير والإنذار والتوبيخ ، وقد أثبت المراقبون لحوادث الطفل ، أن مثل هذه الأمور توقف انحراف الطفل لوقت قصير . .. هذا وإن العقاب يخلق جيلًا خنوعًا ذليلًا ، لا يستطيع الوقوف أمام الأحداث والصعاب والواقع »[1] .

وهذه النتائج تحبط أثر التعلم الحقيقي ، الذي يراد منه فهم العالم وتغييره ، لأنه يمسخ الأداة الرئيسة فيه ، ألا وهي الشخصية الإنسانية ، التي يفترض أن تتمتع بالكمالات الإنسانية ، التي تؤدي دورها بها ، ألا وهي الحرية والأمن والمشاركة والمشاعر النبيلة ، إلا أنه من الملاحظ غياب هذه القيم ، في ظل التربية القسرية والتعليم القسري ، المبنيين على الخوف وعلى المناهج الفوقية ، وعلى القيم المصمتة المفروضة

(١) المؤلفان : كامل البنقسلي وخالد قوطرش (ص٥١) .

من أعلى ، والتي تفتقر إلى مساحة كبيرة من حرية التعبير ، والتي حدد فيها سلفًا السلوك المطلوب فعله ، دقه وجله ، مما ينتج عنه متعلمون غير متكيفين تكيفًا صحيحًا ، ويفتقرون إلى السعادة المطلوبة .

يذكر كتاب علم النفس التربوي ، الجزء الثالث ، الصحة النفسية في التعلم ، أن « الشخص الحسن الملاءمة ، هو الشخص الناجح السعيد في بيئته إلى درجة معقولة ، والمتمتع بإشباع حاجاته العضوية العامة ، مثل : الغذاء والصحة والرياضة ، وحاجاته الشخصية الخاصة ، مثل : الحنو والانتماء والنجاح ، والاستقلال والاستحسان الاجتماعي ، وهو ما يعبر عنه بالحاجة إلى الأمن والكفاية » [1] .

وفوات شيء من هذه الحاجات ، يؤدي إلى نوع من إعاقة التربية السليمة ، وغياب التعلم الصحيح ، مما ينتج عنه نوع من زيادة التوتر ، مما يترتب عليه شعور زائد بالألم والضيق ، فإذا اجتمع شيء من ذلك ، مع تسلط في التربية ، وخشونة في المعاملة ، وشدة في العقوبة ، أدى ذلك إلى هدم الشخصية الإنسانية ، وانحراف بنيتها الفطرية ، وظهور الجنوح ، وتخلف ثقافة السلم في البيئة والمجتمع .

يقول الدكتور علي أسعد وطفة : « العلاقات التسلطية ،

(١) تأليف آرثر جيتس وأربعة آخرون ترجمة د. إبراهيم حافظ ومحمد عثمان إشراف د. عبد العزيز القوصي (ص ٣٠) بتصرف .

تؤدي إلى منظومة من النتائج السلبية وهدم الشخصية ، . . . والأطفال - وحتى الراشدين - يصابون بالعطالة الفكرية ، وعدم القدرة على التفكير أمام مدرسيهم أو آبائهم ، الذين عرفوا بتسلطهم وقسوتهم » [١] .

ولقد نجح العرب حينما جاءهم الإسلام ، وحررهم من بقية جمود في التفكير ، وتسلط في التدبير ، فانطلقوا إلى الناس جميعًا ، يفكون أغلال عبوديتهم ، وأقفال عقولهم ، فالتحق بهم الناس شرقًا وغربًا ، فأزالوا ميزان العبودية ، الذي كان يقسم الناس أسيادًا وعبيدًا ، ليضعوا ميزان الخير ، الذي يقسم الناس إلى أشرار وأخيار ، فانتصر الحق وانتشر العدل ، وتحرر العقل ، ووقف الحاكم والمحكوم في مجلس القضاء ، خصمين متساويين ، فانطلقت البشرية حين ذاك ، لتصل بفكرها وحريتها إلى الفضاء والمجرة ، والشمس والذرة .

ولا يمكن أن نتصور نجاح أجدادنا ، فيما نجحوا فيه وأبدعوا ، بغير نجاحهم في أسلوب التربية ومنهج التعليم ، ولقد ذكرنا طرفًا من أقوالهم ومواقفهم ، إلا أننا تناسينا هذه الثروة الغنية بمعطياتها الثقافية والتربوية ، بسبب ما توارثناه من تخلف القرن الماضي ، واعتدادنا بما تجاوزه العصر الحاضر ، من عنف وشدة وأخطاء ، يجب علينا مواجهتها بشجاعة ودراية ، وسلاحنا في

(١) في كتابه « علم الاجتماع التربوي » (ص ١٩١) .

ذلك ثقافة مجيدة ، وخبرات حديثة ، ومناهج معاصرة ، تمكننا من أن نصنع من ذلك مدرسة تربوية عربية جديدة ، نتجاوز بها مشاكلنا ، ونحقق بها تطلعاتنا ، لبناء جيل البناء ، وصناعة سعادة الإنسان ، الإنسان العربي المسلم ، المعتز بعروبته وإسلامه ، المروِّج والمُسوِّق ، للحياة الطيبة وصناعة الحياة .

ومن آثار العقوبات البدنية ما يلي :

أولًا : - أضرار العقوبات البدنية:

١ - الضرر الجسمي :

الضرر واقع من جراء العقوبات البدنية في غالب الأحوال ، لأن المربي لا يلتزم بالقواعد الإجرائية ، لاستخدام العقوبات البدنية ، فتتحول العقوبة إلى انتقام أو تنفيس غضب ، مما يحيد بالعقوبة عن مسارها السليم ، فيستخدم المربي عصا لا تتحقق فيها الشروط ، أو سوطًا لا تتوفر فيه عناصر السلامة ، أو تزداد الضربات شدة أو عددًا ، أو تقع على موضع من الجسد محرم ، كالوجه أو الساعد ، أو الرأس أو غيره ، وتطيش اليد يمينًا أو شمالًا .

والأصل في ذلك أن نحافظ على هذا البدن ، ونرعى صحته وسلامته ، بل ينبغي علينا أن نعلم الأبناء كيف يحافظون على أبدانهم ، ويرعون صحتهم ، وما نقوم به من ألوان العقوبات البدنية ، يتناقض مع ما نريده من المحافظة على

أبدان أبنائنا ، وهذه إشكالية ينبغي التنبه لها بقوة ووضوح ، وكم من ولد ذهب إلى مدرسته مصبَّغ الجسد ألوانًا وأشكالًا ، جرَّاء ما أوقع عليه والده أو والدته أو ولي أمره من عقاب ، والعكس: كم من ولد رجع من مدرسته إلى أهله وبيته ، وآثار العصا في أكثر من مكان من جسده .

يقول صاحبا كتاب آباء وأبناء : « منشأ الكسل . . .. أما الناحية (الفزيولوجية) فتظهر في بطء تنفس الطفل ، وفي مرضه ، وفي ضعف ذاكرته والذكاء ، أو لكثرة الواجبات المدرسية وبغض المعلم ، وصعوبة المادة وعدم انسجامه مع رفاقه »[1] .

ولا نريد أن نذكر الحوادث الكثيرة ، لأبناء وقع عليهم العقاب البدني ، وهم يعانون من أمراض لا يصلح معها عقاب ، فضلًا عن عقاب بدني محسوس ، مما أدى بهم إلى المستشفى ، والبعض منهم إلى المقبرة ، والمربي لا يعلم بهذا المرض ولا بتلك العلة ، وربما لا يعلم بها المعاقَب نفسه .

٢ - الضرر النفسي :

لا شك أن الضرر النفسي الواقع على المعاقَب ، أكثر بكثير من الضرر الواقع على جسده ، جرَّاء العقوبة البدنية ، وذلك لأن الأثر البدني ، سرعان ما يزول وينمحي أثره ، إلا

(١) كامل بنقسلي وخالد قوطرش (ص٥٠) .

أن الأثر النفسي غالبًا ما يدوم طويلًا ، وربما يحفر في النفس أثرًا لا يزول أبدًا ، وفي بعض الحالات والشخصيات الإنسانية ، تتفاعل النفس تفاعلًا سلبيًا مغاليًا ، مع أثر العقوبة البدنية ، فتضخمه وتضفي عليه هالة من الحزن والألم والخيال القاتم ، وظلالًا من الحقد والكراهية والشدة والقسوة على المربي المعاقِب ، ليست مطابقة للحق ولا للواقع .

لأن الغالب في المربي المعاقِب ، الشفقة والحرص والحب ، والخوف على مستقبل الأبناء المعاقَبين ، وإن كانت هذه الشفقة وذاك الحب ، قد أخطأ الوسيلة في تربية المعاقَب ، أو لربما لم يخطئا ، ولكن الظروف المحيطة بالمربي والمعاقَب ، لم تفسح المجال لهما لحسن التعامل والتفاهم ، على الأسلوب الأمثل .

يقول (إدوارد لي ثورنديك) : « قانون الأثر ينص : على تأثير الحالة النفسية الطيبة أثناء التعلم على تقدمه ، وإذا رافقه انفعال غير مريح يعطله ويبطئه ، فتقوى في حال الرضى حالة التعلم ، وتضعف في الشعور بالضيق والعقاب » [1] .

ولو أن هذا الضرر النفسي ، يظهر أثره بوضوح وجلية ،

(١) عالم نفس أمريكي من أتباع المدرسة السلوكية في علم النفس (ت ١٩٤٩) عن كتاب الثواب والعقاب في التربية (ص١١٥) .

لكان الأمر سهلًا ، يمكن التعامل معه بالتعديل والتغيير ، لكن الأمر أبعد أثرًا وأعمق خطرًا مما نتصور أو نتوقع ، لأن المعاقَب من أبنائنا ، في الغالب يستجيب استجابة ظاهرية للعقوبة ، فنحسب أنها آتت أكلها وأدت دورها ، في تعديل سلوك الأبناء ، ولا يخطر في بال الكثيرين من المربين ، أن هذا الانطباع سراب لا طائل وراءه .

ويقول القاضي حسن عشماوي : « إني أشبه العقاب بالسم ، يضاف أحيانًا إلى الدواء ، ولكن بمقدار ، ومن يد مدربة ، بعد تشخيص سليم للداء ، ومراعاة لكل ما يحيط بالمريض من اعتبارات ، وبذلك وحده يمكن أن يصير السم عنصرًا مفيدًا ، من عناصر الشفاء ، وإلا غدا سمًّا فحسب . . وواضعه قاتلًا .. وليس قتل الشخصية مع ترك الجسد حيًّا ، بأقل خطرًا من عودة الروح إلى ربها بموت الجسد وحده »[1] .

إن الأثر النفسي السلبي ، ينعكس على سلوك الأبناء في قضايا أخرى ، غير التي عُوقب من أجلها ، فتسوء معاملته للآخرين ، ويهمل واجباته الأخرى غير التي عوقب من أجلها ، وإن أبدى لنا اهتمامًا بما عوقب عليه ، فينبغي أن لا نُخدَع ، لأنه قد يكون نوعًا من التحوير والتغطية ، على ردة فعله لما يريد أن يتحدى به أو ينفس ، شعر بذلك أو لم

(١) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص٣٢) .

يشعر ، لأننا نعلم أن ردة الفعل الإنساني ، قد تكون شعورية أو لاشعورية .

يقول صاحبا كتاب آباء وأبناء : « منشأ الكسل اضطراب نفساني ، يصيب الطفل فجأة ، إثر حادث مؤلم أو فاجعة ، أو . . . هذا من الناحية النفسية »[1] ، وليس هذا فحسب بل إن « سوء معاملة المدرسين وقسوتهم ، قد يجعل من المدرسة مثيرًا شرطيًا للألم والعقاب ، فيجد الطفل في الهروب الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق »[2] .

ولا نريد أن نذكر الحالات النفسية الكثيرة التي ترد العيادات النفسية ، سواء كان ورودها مبكرًا من قبل الأبناء في مقتبل العمر ، أو ورودًا متأخرًا من قبل الآباء أو الأمهات في سن متأخر من العمر ، والسبب في ذلك تراكم الأثر النفسي لبعض العقوبات البدنية ، الذي لم يلحظ أثره المربون في حينه ، فيحيك حول النفس مشكلات شعورية وسلوكية ، تترك ندبًا في النفس والشعور والفكر ، يصعب حلها بعد تقادم الزمن عليها .

٣ - الضرر العقلي :

لا يختلف اثنان في أن أهم أولويات التربية ، العمل على

(١) كامل بنقسلي وخالد قوطرش (ص٥٠) .

(٢) مؤلف كتاب أسباب جنوح الأحداث ترجمة د. محمد سلامة غباري (ص١٩٠) .

تفعيل النمو العقلي لدى أبنائنا بشكل سليم ، وهذا لا يتم بغير جو من الحرية والحب والاحترام ، وعليه فإن التسلط والقسوة وجو الخوف والعنف ، يكبل قوى النفس والفكر أن تنمو بالصورة الصحيحة والشكل السليم ، فتنكمش القوى العقلية ، مثل التذكر والتفكر والحكم ، والاستنباط والاستنتاج والاستقراء ، ناهيك عن حسن السؤال والجواب ، وحل المعضلات وإبداع الاختراعات ، مما يقلل تفاعل الأبناء مع العلم والتعلم ، ويضع السدود والعراقيل أمام نموهم العقلي والفكري ، أن يبلغ بهم المدى ، في التفوق والنجاح والإبداع ، على الرغم من كل المعطيات الحضارية التي يتمتعون بها ، في بيئتهم وتراثهم وموروثاتهم .

إلا أن تركيبة حياتنا القائمة على الفوقية بدل المسؤولية ، وعلى التسلط بدل الحرية ، وعلى الخوف بدل الحب ، وعلى العنف بدل الرفق ، تشكل أكبر العوائق أمام النمو التربوي السليم ، والتعلم العبقري العظيم ، ألم يقل عنترة ابن شداد لأبيه ، لما سأله أن يدافع عن الحمى ، ويكر خلف الغزاة ، وكان لا يعترف ببنوته ، ولا يجاهر بها : إن العبد لا يحسن غير الحلب والصَّر ، فلما قال له : كرَّ وأنت حر ، فامتشق حسامه ، وركب صهوة جواده ، وقاتل قتال الأبطال ، مدافعًا عن الحمى والديار ، فلمع نجمه وتفجرت طاقته وعلا ذكره ، لا في قبيلته فحسب ، بل في العرب

أجمعين .

يقول صاحب كتاب علم الاجتماع التربوي : « يقوم التسلط على مبدأ الإلزام والإكراه ، وعلاقات التسلط هي العلاقات التي يتم بموجبها ، خضوع طرف لإرادة طرف آخر بالقوة ، ونعني بالتسلط التربوي الميل إلى استخدام العنف في العمل التربوي ، ويقوم على أساس التباين وعدم المساواة (مدرس - طالب) ، ويقوم على العنف بأشكاله المادية والرمزية ، (التهديد - والتوبيخ) ويقوم على المجافاة الانفعالية والعاطفية بين الأطراف ، ولا يسمح للطلاب أو المتعلمين بإبداء آرائهم ، ويخيم جو الخوف ، وانعدام الثقة ، وعدم المبالاة بين الأطراف » [1] .

بل إن كثيرًا من الأذكياء ، نتيجة الأمراض النفسية التي يسببها لهم عنف المعاملة ، يتدنى مستوى ذكائهم ، وربما ينسحبون من التعليم بالكلية ، يقول صاحبا كتاب أساسيات علم النفس التربوي : « إن العقاب المستمر ، يولد اتجاهًا نحو ترك الموقف التعليمي ككل » [2] .

٤ - الضرر الاجتماعي :

من أوليات عوامل النجاح في الحياة ، انتماء الإنسان إلى أسرة مستقرة يعتز بالانتماء إليها ، فإذا تلقى فيها معاملة

(١) د . علي أسعد وطفة (ص١٩٠) .

(٢) د . محيي الدين توق و د . عبد الرحمن عدس (ص٢٣٣) .

قاسية ، وتعرض فيها إلى عقوبات غير منصفة ، مع افتقار إلى الحب والعطف والحنان ، اهتزت هذه الرابطة الأسرية التي تربطه بها ، وضعف شغفه بالسعي لكسب رضا أعضائها ، بل قد ينعكس شعوره هذا سلبًا على علاقته بها وبالآخرين .

فإذا تعرض الأبناء إلى عقوبات بدنية في المدرسة ، ولم تكن هذه العقوبات مقنعة لهم ، قد ينعكس أثرها سلبًا على حبهم لمدرستهم ، وأصدقائهم ومعلميهم ، مما يدفع بهم إلى قطع روابطهم الإيجابية بهم ، وبالتالي تنشأ لديهم علاقات سلبية بهؤلاء ، يشعرون بالحرمان العاطفي والعزلة الاجتماعية ، مما يدفعهم إلى إنشاء علاقات أخرى مع رفاق السوء ، ممن هم على شاكلتهم في المعاناة ، فيشبعوا حاجتهم الاجتماعية للانتماء ، بتقوية رابطتهم بهم وحبهم لهم ، والبوح بأسرارهم إليهم ، وكما قال صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « الشخص الذي يلفظه مجتمع ما ، يبتلعه مجتمع آخر ، . . . وكلما ضعف الارتباط بالأب كلما زادت احتمالات الجنوح »[1] .

ونحن نعلم أن المحضن الأساسي للتربية والتنشئة ، البيت والمدرسة ، فإذا لقي الأبناء فيهما معاملة لا تسر ، وعقوبات بدنية

(١) ترجمة د. محمد سلامة محمد غباري (ص١٧٨ ١٤٧) .

أو غير بدنية متكررة ، فمن المؤكد أن يكون موقفهم من ذلك أحد تصرفين : إما الانكفاء على النفس والانغلاق على الذات ، مما يحدث أمراضًا نفسية ، أو المقاومة الشديدة التي تؤدي إلى الهروب منهما ، إلى الشوارع والمنتديات والرفقاء ، وكلا الأمرين أحلاهما مرٌّ ، يقول صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « إن شعور الأولاد بتناقض معايير المجتمع ، يدفعهم لارتكاب الخطأ ، الذي يلقون عليه التأنيب والتحقير والعقاب ، مما يدفعهم لعدم الشعور بالأمن ومن ثم السخط ، والشعور بالظلم وسوء العلاقة بينهم وبين الناس ، فيلجؤوا إلى الفرار من أسرهم ومدارسهم إلى الشارع ، ليعبروا عن أنفسهم بما يخفض من قلقهم وتوترهم » [1] .

وبتلقف الشارع والرفقاء لهم ، يعلي من شأن قيم الحرية المغلوطة ، التي يُحسِّنها لهم هذا المحيط ، فيضحون بقيم النجاح الشخصي ، التي تمثل لديهم قيم الكبار وعالمهم ، يقول صاحب كتاب أسباب جنوح الأحداث : « الارتباط بالرفقاء يمكن أن تضعف الروابط بالوالدين وتسهم في الجنوح ، لأنهم يرتبطون بمن يستحسن أفعالهم ، فتخلق مقاييس جديدة تبعد عن أهداف الكبار ، أو قيم المجتمع ، وبهذا يهملون تحقيق النجاح الشخصي لأنفسهم » [2] .

(١) ترجمة د. محمد سلامة غباري (ص٢٦٥) .

(٢) د. محيي الدين توق و د. عبد الرحمن عدس (ص٢٣٣) .

٥ - الضرر الأخلاقي :

لا شك أن القيم الأخلاقية ، أحد أهم المستهدفات التربوية في عملية التنشئة ، وهي مقترنة ببيئة الإنسان اقترانًا كبيرًا ، وهذه القيم ليست أكثر مما يسمعه ويراه الأبناء في الوالدين ، من خلال البيت والأسرة ، وفي معلميهم وزملائهم في المدرسة ، فإن السلوكيات والمفردات والاتجاهات ، تحدد مدخلات الأبناء الأخلاقية .

والعقوبة البدنية لها أكبر الأثر ، على زعزعة شعور الإنسان بالاحترام والكرامة ، وهذا يهدم اعتزاز الإنسان بالقيم ، وخاصة أنها قيم أولئك الذين جلبوا له الألم والأذى ، وبالتالي يبحث عن قيم آخرين ، غير الذين عاقبوه عقوبة لا معنى لها ، فإذا اجتمع إلى ذلك جفاف العاطفة وضمور الشعور بالحب والود ، نسج ذلك كله طريقًا للانحراف .

يقول القاضي حسن عشماوي : « إن فينا وفي كثير ممن حولنا ، خصالًا نأمل ألا يحاكيها الأطفال ، - والطفل أسرع ما يكون محاكاة لما يلحظه - مثل الكذب ، والرياء ، والنميمة ، وبذيء الكلام ، والغضب »[١] .

ثم إن المعاقِبين يلقنون الأبناء - بإيقاع العقوبات البدنية أو القاسية - قيمًا غير مقصودة من عدم التسامح ، والشدة

---

(١) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص٢٨) .

والغلظة في المعاملة ، والرد على الأخطاء بالعنف والضرب ، فيطبق الأبناء هذا السلوك مع زملائهم وأقرانهم ، فتسوء العلاقة بين بعضهم البعض ، ويشكل الهروب من البيت والمدرسة الذي تحدثنا عنه فيما سبق ، أكبر محضن لسوء الأخلاق ، التي يتلقاها الأبناء من الشارع ورفاق السوء ، وتتشكل لديهم قيمًا أخرى ، بعيدة عن قيم الأهل والمجتمع ، يُمدح فيها الأبناء من قبل أفراد مجتمعهم الجديد ، الذي يشعرهم بحرية الاختيار، ودفء العاطفة ، واستقلالية التصرف .

ولا يشترط أن يكون هذا التحول في الأخلاق فوريًا ، ولا حتى مقنعًا ، لأن الصراع الداخلي في نفوس الأبناء ، يستمر بالتدرج مع استمرار أخطاء المربين ، في استخدام العقوبات البدنية أو القاسية ، واختلاف ردود فعل الأبناء تجاهها ، فقد تؤدي إلى حسن التكيف وقد تؤدي إلى سوئه ، لكن المؤكد تحول الحياة في نظر مثل هذه البيئة ، إلى حياة شيئية تهدر الكرامة الإنسانية ، يقول صاحب كتاب تعليم المقهورين : « الإنسان النمطي يرغب في تحويل كل ظاهرة عضوية ، إلى ظاهرة غير عضوية ، لتصبح الحياة في شكلها الميكانيكي ، وكأن الأحياء مجرد أشياء »[1] .

---

(١) باولو فرايدي ترجمة د. يوسف نور عوض (ص٥٦) .

٦ - الضرر الدعوي :

مهما كان المعلم أو المربي مخلصًا ، في إرادة الخير والمصلحة للأبناء ، فإن التربية القائمة على العقوبات والعصا ، تعكس تشنجًا في العلاقة بين أطراف العملية التربوية ، ويمتد هذا الخلل ليشمل جوانب وأطرافًا أخرى من المجتمع ، على اعتبار أن المعلم المسلم مربٍّ وداعية في نفس الوقت ، وكثير من الدعاة والمربين معلمين ، فإذا سلكوا هذا الطريق في التوجيه مع أبنائهم وطلابهم ، سيسلكون هذا السبيل مع الناس الآخرين في المجتمع ، ومع الناس من المجتمعات الأخرى في الشرق والغرب .

فالدعوة وتأليف القلوب ، حول قيم الخير والعلم والمعرفة ، لا يمكن أن يتم بغير الرفق والتسامح والتلطف ، والتجربة العملية تثبت أن النجاح في التحبب للعلم في التربية ، وقَبول القيم الإسلامية ، من صلاة وأخلاق وشريعة سامية رفيعة ، لا يتم بالأسلوب التقليدي في التربية ، القائم على الرهبة من المعلم ، والخوف من الأب والأم ، لأن هذا يصنع حواجز سميكة بين الأبناء والمربين ، سواء كانوا آباءً أو معلمين .

وبالتالي يكون قَبول المفاهيم التربوية والقيم الأخلاقية ، قَبولًا ظاهريًا مؤقتًا ، فإذا شب الأبناء عن الطوق ، أو ارتفعت عنهم الرقابة ، تخلوا عن هذه التعاليم ، وضعف التزامهم بها ، لأنها لم تدخل إلى قناعتهم بالإقناع والطريقة

السليمة ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد فحسب ، بل تصبح الشدة رفيقًا لكل نصح وإرشاد ، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر ، وبالتالي تخسر هذه الأمة المتميزة بقيمها ، انتصار هذه القيم ، وينحسر تسويقها لها بين الناس والأمم والحضارات ، وبالتالي يجرنا استخدام العقوبات البدنية مع أبنائنا ، إلى أن نخسر ولاءهم للقيم التي ندعوهم إليها ، وبالتالي نخسر المجال الدعوي ، الذي نتشوف أن يسدوا ثغرة فيه ، حين يحمّلوا المسؤولية ، في دعوة الناس جميعًا إلى أصالتنا وحضارتنا .

٧ - الضرر الأمني :

« إن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ، ولا نزع من شيء قط إلا شانه » [(١)] . هذا ما أخبر به رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها ، وهذا وصف أدبي نبوي ، للسلوك الإنساني في حالتيه ، رفقًا وعنفًا ، أما الوصف الاجتماعي وأثره على التمدن وأمن المجتمع ، فتحدث عنه علامة الأمة في علم الاجتماع ابن خلدون فقال : « ومن كان مرباه بالعسف والقهر ، من المتعلمين أو المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل ، وحُمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره . . . ، وعلمّه المكر والخديعة

(١) سنن أبي داود (٤٨٠٨) .

لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقًا ، وفسدت معاني الإنسانية ، التي له من حيث الاجتماع والتمدن .. ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين » [1] .

ما حذر منه ابن خلدون منذ مئات السنين ، أدركه علماء النفس والتربية المعاصرون ، بعد أن اكتوت البشرية بحربين عالميتين مدمرتين ، لا زالت آثارهما ونتائجهما مستمرة إلى يومنا هذا ، فبينوا أن « أسلوب العقاب البدني يخلق جوًّا سلبيًّا ، مليئًا بالغضب والحقد بين الصغار والكبار ، إما لعدم إدراكه [2] مبررات عقابه ، أو عدم اقتناعه بشدتها ونوعها ، وشعوره بأنه أسير عالم الكبار ورغباتهم ، فيبذر الخوف منهم ، والنفاق لهم والرياء .. ، ويتخذ الطفل والديه ومعلميه نموذجًا للعدوان على الآخرين ، فلا تهمه بعدها مشاعر الآخرين » [3] .

وما يسود في مجتمع ما من أفكار ، إنما هو فرع عن التربية ووسائلها في ذلك المجتمع ، فالجريمة بشتى أنواعها : من قتل وسرقة وعدوان ، وتعاطي للمخدرات والمسكرات ، وحوادث انتشار الفواحش ، إنما هي وليدة العنف والإرهاب المادي والمعنوي .

ولا يحسبن عاقلٌ أن منع العقاب البدني فحسب ،

---

(١) في كتابه المقدمة (ص٤٣٦) طبعة دار صادر الأولى ٢٠٠٠م .

(٢) أي الصغير أو المتعلم .

(٣) د . عمر بشير الطويبي في كتابه التدريس والصحة النفسية (ص١٤٧) .

كافٍ لأن يتمتع المجتمع بالأمن والاستقرار ، لأن حرمان المولود من أن يكون له أبًا يرعاه ، وأمًّا تضمه إلى صدرها بحنان ، وبيئة مدرسية واجتماعية توجهه بإخلاص ، إلى الخير والقيم النبيلة السامية الرفيعة ، أعظم عقوبة من ضرب العصا والسياط ، فالولد اللقيط ، ومجهول الأب أو الأم ، في بلاد الغرب ، بالإضافة إلى التربية التي لا تقوم على الأسس الأخلاقية ، يجعل أبناءهم في اغتراب عقابي نفسي دائم ، يولد فيهم أنواعًا من الجرائم ، لا نكاد نسمع بمثلها في الأولين ولا في الآخرين .

ثم إن صناعة المجاعات والحروب ، والقتل والتعذيب ، وتفكك عرى الأسرة ، هذا إذا كان هناك أسرة ، والكسب غير المشروع ، وانتشار المخدرات والمسكرات ، وغيرها من الجرائم ، ليست سوى ولائد شرعية لتربية فاسدة .

يقول صاحب كتاب تربية العائلة : « إذا اغترب الطفل عن أبيه ، لن يشعر بأهمية القوانين ، ولن يتولد لديه الإحساس بالقيم والضمير ، أو (الأنا الأعلى) ، وخاصة الانفصال عن الأم ، وإذا ضعفت الرابطة بالوالدين ، ازدادت احتمالات السلوك الجانح ، وإذا قويت هذه الرابطة قلت احتمالات السلوك الجانح » [1] .

(١) التربية في العائلة (زلات الوالدين) فيلكس توما (ص١٣٣) .

وعليه فإن مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، إذا أردنا أن تنعم بالأمن والاستقرار ، وأن نجنبها جرائم الأحداث وانحراف الأبناء ، وتفكك الأسر وانتشار الجريمة ، فعلينا أن نعيد النظر في أسلوب تربيتنا للأبناء ، ونجتنب العقوبات البدنية والعنف التربوي ، ونزيل الحواجز بين الآباء والأبناء والأجيال ، ونقيم تربيتنا على الحب والود والحوار والشورى ، فهي أعظم حافظ لأوطاننا وبلادنا وأبنائنا .

٨ - الضرر الاقتصادي :

لو أجرينا حسابًا للخسائر التي يخسرها الفرد والمجتمع ، بسبب فشل التربية القائمة على العنف والعقاب ، لعرفنا مدى الخسارة الفادحة ، التي يمنى بها أبناؤنا وأسرنا ومجتمعاتنا .

فإذا أقررنا بأن الثروة الحقيقية لأوطاننا هي الإنسان ، فإنما نقصد العناية بإنسان الوطن والأمة ، ليكون عبدًا للّه تعالى ، حرًّا لوطنه وأمته ، إنسانًا صالحًا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

فالأسرة التي تعتني بأبنائها عناية سليمة ، وتنشئهم على التربية الصحيحة ، فإنها لا توفر المال - الذي يشكل عبئًا عليها ، في حال فشلهم دراسيًّا وتربويًّا ، مما يضطرها أن تدفع نفقات زائدة ، لإعادة تدريسهم بطرق خاصة من ناحية ، وتدني المستوى التعليمي ، الذي يخفّض العائد

المالي ، في حال التوظف والعمل من ناحية ثانية ، والمال الذي تدفعه للمتضررين من جرائم وجنح الأحداث التي يقوم بها أبناؤهم ثالثًا - فحسب ، بل توفر الوقت الذي يهدره الأبناء ، الذين يتسكعون في الشوارع ، نتيجة هروبهم من البيت والمدرسة ، وسوء تكيفهم مع البيئة والمجتمع ، مما يجعلهم عناصر عاطلة عن العمل ، أو قليلة الإنتاج ، أو مخربة للاقتصاد .

فلو حسبنا الخسارة اقتصاديًّا ، في حال تهور مراهق أو شاب في حادث سيارة ، أدى إلى الوفاة أو إلى العاهة المستديمة ، التي تؤدي به إلى أن يصبح مقعدًا أو عاطلًا عن العمل ، ربما كانت الوفاة أقل خسارة على الأسرة والمجتمع .

فكيف إذا انحرف الأبناء إلى المخدرات والمسكرات ، وإلى غيرها من السلوكيات الناتجة عن عنف المعاملة وسوء التربية ، فأدى بهم إلى السجون أو المستشفيات ، وهذه الخسائر تعتبر الأقل ، في حال النجاح الظاهري ، الذي لا يتمتع فيه صاحبه بيقظة الضمير ، ورعاية مصالح الأمة والوطن .

٩ - الضرر القومي :

لا تقاس الخسارة القومية في حال الفشل التربوي ، بالمقياس المادي الضيق فحسب ، بل تتعدى ذلك إلى خسارة معنوية كبيرة لا حدود لها ، وذلك لأن تأخر العمر

العقلي والعمر النفسي ، عن العمر الزمني للفرد ، يشكل خسارة قومية كبيرة ، لأنه لا يطال فردًا بعينه في الحالات الخاصة ، بل يطال المجموع العام في الحالة العامة ، مما ينعكس تخلفًا وتراجعًا وهزيمة وجمودًا وتقهقرًا ، على الأمة بأسرها وعلى الوطن بكامله .

وهذه الخسارة لا تحسب اليوم بمقياس ذاتي أو تاريخي ، بل الربح والخسارة على المستوى القومي اليوم ، له مقاييس إحصائية علمية موضوعية متعددة ، على أساسها تحسب خسارات الدول والأمم والمجتمعات ، وهو فن قائم بذاته له جداوله ومسائله .

فمثلًا الخسارة القومية في التربية والتنشئة والتعليم ، تحسب بالنقص في عدد الخريجين ، من جامعيين وحملة الشهادات العليا ، والنقص في عدد الأكاديميين في شتى الاختصاصات ، اللازمة لرقي مجتمعاتنا العربية ، على المستوى الدولي والعالمي ، الذي نحتاجه حسب المرحلة ، ومستلزمات العصر الحاضر .

وربما حسبت الخسارة القومية ، بافتقاد مجتمعاتنا وأمتنا إلى العدد الكافي من الجامعات و (الأكاديميات) ، التي تغطي كافة التخصصات اللازمة لتدارك الرقي والتقدم ، وتلبي جميع احتياجاتنا المحلية والمتوقعة ، وتستوعب أكبر عدد من أبنائنا ، على أرض الوطن وترابه .

وربما حسبت الخسارة القومية بالطريقة السلبية ، المتوافقة مع الفشل في التربية والتنشئة ، كنتيجة من نتائجها وأثر من آثارها ، وذلك بحساب عدد المتسربين من المدارس والمعاهد العلمية ، أو بحساب عدد العاطلين عن العمل ، أو بحساب عدد الذين يستدعون من قبل الشرطة ورجال الأمن ، وإن كان هذا الإحصاء الأخير ، لا يعطي مؤشرًا حقيقيًا في بلادنا ، بسبب ضوابط القيم والأخلاق والأعراف ، التي تمنع الوصول إلى هذه المرحلة من التدني في السلوك ، ليس بسبب ارتفاع المستوى الخلقي في بلادنا ، وإن كان ذلك موجودًا ، إلا أن السبب الحقيقي التستر الشديد ، من قبل أولياء أمور الشباب ، وشدة الترابط العائلي والأسري والعشائري والاجتماعي ، مما يغطي على كثير من تصرفات أبنائنا بفعل هذه المجاملات ، فتبقى سلوكياتهم بعيدة عن المحاسبة ، وبالتالي لا تدخل سجل الإحصاء .

لكن إذا جاءت ساعة الجد والحزم ، وتحمل المسؤوليات ، ظهر المخبوء وانكشف المستور ، وليس ازدياد أعداد حالات الطلاق ، بالنسبة لأعداد حالات الزواج ، إلا مؤشر على الفشل ، لا في حدود التربية العلمية فحسب ، بل في حدود التهيئة الاجتماعية كذلك .

وهذا وذاك يعتبر خسارة قومية بالغة الخطورة ، تحتاج منا إعادة النظر في أسلوب التربية والتنشئة ، لتقوم على الرفق

الحقيقي والحوار ، والمراجعة العلمية الدقيقة ، لإعادة اللحمة الدافئة في علاقة الأبناء بآبائهم ومعلميهم ، ليكونوا ذخرًا للأمة وثروة للوطن .

١٠ - الضرر الإنساني :

التربية والتنشئة القائمتان على الخوف والرهبة ، واللتان تستخدمان العقوبات البدنية ، قد تجعل من أحدنا شبه إنسان ، وإذا سألتني عن السبب في هذا التشبيه ، أقول لك : أن الإنسان المحطم النفس ، الخائر القوى ، الخالي من الطموح ، المشتت الذهن ، المضطرب الشخصية ، القليل الهمة ، المتعثر الخطوات ، المتردد في قراراته ، السيئ الخلق ، الصعب المراس ، المتشكك في الناس ، الغريب الأطوار ، الفاسد النوايا ، الحائر في السلوك ، المتقلب المزاج ، إلى ما هنالك من أوصاف ، تنتج عن تعرض الإنسان إلى ضغوط وحرمان ، في سن مبكرة من حياته ، وبالتالي تصاغ شخصيته بشكل يجعل منه شبه إنسان .

يقول د. عمر بشير الطويبي : « الطفل يشعر بالأذى والإهانة والإحساس بالألم ، بمجرد وقوع العقاب البدني عليه ، فإذا اشتد ، تجاوزه إلى درجة التعذيب .. العقاب البدني أسلوب يتنافى مع قدسية الإنسان (ابتداء) » [١] .

(١) في كتابه التدريس والصحة النفسية (ص١٤٤) .

وليست العقوبات البدنية والنفسية المؤثرة ، إلا أحد أسباب تشكيل شخصية الإنسان المستلب الحرية ، ونحن نعلم أن استلاب الحرية ، له أكبر الأثر على الشعور الإنساني ، مما يعيق نجاحه وتقدمه واستمتاعه بالحياة ، والجانب غير الإنساني في الموضوع ، هو أن هذه الشخصية ، تصبح عائقًا أمام استمتاع صاحبها والآخرين ، بالسعادة والنجاح في الحياة .

يقول صاحب كتاب تعليم المقهورين : « أول عمل يقوم به المستَلبون في تحقيق حريتهم ، هو أن يستعيدوا حقهم في قول كلمتهم ، ويوقفوا استمرارية الاستلاب غير الإنساني الذي مورس ضدهم »[1] .

فالمشكلات السلوكية ، والاضطرابات النفسية ، الناتجة عن هذه الطريقة في التربية والتنشئة ، خلَّفت كثيرًا من أنواع الجرائم ، التي ربما تطال الإنسانية بأسرها ، أو مجموعة منها أو فرد .

وقد يُقال : أننا لا نستطيع تعميم هذه النتيجة بهذا الشكل ، ونحن نرى كثيرًا من الناس ، يتعرضون لضغوط شتى بهذه الشاكلة وبغيرها ، وهم يمارسون حياتهم بشكل لا غبار عليه .

أقول ليست العبرة بالظواهر ، فكم من إنسان تراه بين

(١) باولوا فرايدي ترجمة د . يوسف نور عوض (ص٦٨) .

الناس في قمة الأدب والنجاح ، وإذا خلا بنفسه أشبعها لومًا وعذابًا وتأنيب ضمير ، أو إذا عاد إلى بيته جعله جحيمًا لا يطاق ، أو إذا ارتكب ابنه أو ابنته هفوة طفولية ، سامهما ألوان العقاب والعذاب ، أو إذا أخطأ معه صديق أو رئيس ، صبغ لون السماء بالسواد ، وضياء القمر بالحمرة .

أليس هذا النجاح المبتور موجودًا في حياة كثير من الناس ، فإذا لم يكن ، فلم تعاني البشرية اليوم ما لا تعانيه أيام الجهل والجاهلية والعصور الأولية ؟ خاصة أننا في عصر أصبح فيه العالم قرية صغيرة ، والإنسانية فيه في دار كبيرة ، وما يحدث في مشرقه يتأثر له مغربه ، بل إن خبرًا اليوم يجعل الدينار درهمًا والدرهم دينارًا ، والخوف أمنًا والأمن خوفًا ، هل هناك من لُحمة أكثر من هذه اللُّحمة ، اللَّهم إلا لُحمة البِرِّ والخير والتقوى ، والتعاون على إنقاذ الإنسان من الإثم والعدوان .

وأخيرًا نقول : لا تقدر الخسارة الإنسانية بالكم ، بمقدار ما تقدر هذه الخسارة بالكيف ، فدمعة حزن لطفل ، إذا لامست شغاف القلب ، حركت الساكن ، وأوقفت المتحرك ، وعمَرت الخراب ، وخرَبت العمار ، وصبَّرت المكلوم ، وكَلَمَت الصحيح ، إذا كان لنا قلب ، أو ألقينا السمع ونحن شهداء .

ثانيًا : - أقوال من منع الضرب في التربية :

١ - رسول الله ﷺ :

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا قط ، ولا ضرب امرأة ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله » .

ورويت أحاديث كثيرة تنهى عن الضرب ، إلى أن تمردت النساء على أزواجهن ، فرخص في ذلك ، ولما شكت النساء أزواجهن قال رسول الله ﷺ : « **ليس أولئك بخياركم** » ، ولما سئل ابن عباس عن الضرب قال : « بالسواك ونحوه » [١] ، وهذا الجواز لرمز الفعل ، لا للفعل نفسه .

٢ - سحنون :

أوصى سحنون [٢] معلم ابنه : « لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام ، وليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف » .

٣ - الإمام أبو حامد الغزالي :

أوصى الإمام الغزالي المعلمين : « أن يُزجَر المتعلم عن سوء الأخلاق ، بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك

(١) أخرجه ابن جرير عن عطاء .

(٢) هو : محمد بن سحنون بن عبد السلام بن سعيد التنوخي (٢٠٢ - ٢٥٦هـ) ، تعلم على يد والده ، وخلّف مائتي كتاب ، ووصيته من رسالة في رياضة الصبيان مخطوطة بالقاهرة (ص٤٣٢) عن الثواب والعقاب في التربية (ص١١٣) .

حجاب الهيئة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار » [1] .

٤ – عبد الرحمن ابن خلدون :

وعقد ابن خلدون فصلًا في مقدمته عنوانه : « الشدة على المتعلمين مضرة بهم » يقول فيه : إن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم ، سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، . .. وصار عيالًا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين ، وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل ما يملك أمره عليه .. وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء ، حتى أنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرج (التخابث والكيد) فينبغي للمعلم في متعلمه ، والوالد في ولده ألا يستبدا عليهما في التأديب [2] .

٥ – د . علي أسعد وطفة :

في دراسته الموسعة ، على كل أشكال التسلط التربوي ،

---

(١) عن كتاب الثواب والعقاب في التربية محمود ماهر زيدان (ص٨١) .

(٢) المقدمة لابن خلدون (ص٤٣٦) .

واتخاذ العنف وسيلة من وسائل التوجيه ، والتربية المدرسية والبيتية ، ولما في ذلك من آثار على سلوك الأبناء ، في : « توليد مشاعر البغض والضغينة ، والجمود والكراهية ، والتصلب والخجل ، والقلق والخوف ، والإثم ومشاعر الدونية والنقص ، وفقدان الثقة بالنفس ، وعقدة الإحساس بالذنب والإهمال » [١] .

٦ - د . محمد خليفة بركات :

يقول : « لو تأملنا ما يسود حياتنا .. فسنجد أن العقاب يأخذ وزنًا أكبر نسبيًا من الثواب ، بدليل اللوائح الكثيرة والمفصلة لأنواع العقوبات ، بينما لا توجد لوائح مقابلة تحدد أنواع المكافآت أو الحوافز ، .. ويميل معظم المربين اليوم إلى منع العقوبات البدنية ، في معاملة الأطفال والمتعلمين ، لأن العقاب البدني يحمل معنى معاملة الطفل كما لو كان حيوانًا ضعيفًا ، .. (ولذا ينبغي) الابتعاد عن العقوبات البدنية نهائيًا ، مهما كانت المبررات ، واستبدالها بغير البدنية » [٢] .

٧ - الأستاذ المربي محمود ماهر زيدان :

يقول : « إن ظروفًا اجتماعية وأحوالًا عصرية ، تفرض

---

(١) في كتابه بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي (ص ٩١) .

(٢) في كتابه علم النفس التربوي في الأسرة (ص١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٨٠) .

استبعاد العقاب البدني من الممارسات التربوية ، (لأن) الخطأ في العقاب البدني والنفسي ، أبعد أثرًا على الشخصية والسلوك » [1] .

٨ – د . هايم جينوت :

يقول : « إن معاقبة الطفل تعني أنك تغضبه ، وتجعله فردًا غير قابل للتعليم ، وضيفًا للعدوانية ، وأسيرًا للحقد والضغينة ، وسجينًا للانتقام .. ومتشربًا بالحسد وكثرة التذمر ، وهنا لم يعد للطفل وقت أو عقل للدراسة .. إن العقاب يزود الطفل المزعج والمشاغب بتبرير لسوء التصرف السابق ، وتقدم له عذرًا للإساءة المقبلة أو المستقبلة » [2] .

٩ – فيلكس توما :

يقول : « إن كل وسائل التهذيب ، التي تلقي الخوف والرعب ، هي بالإجمال مضرة غير نافعة ، لأنها تثبط الهمم بدلًا من أن تنشطها ، وتقلق العقل والقلب ، بدلًا من أن تنيرهما أو تهدئ ثائرتهما » [3] .

---

(١) في كتابه الثواب والعقاب في التربية (ص١٣٤) .
(٢) في كتابه المربي والطفل ترجمة د. سعد جاسم يوسف الهاشل (ص١٦٢ ، ١٧٧) .
(٣) في كتابه تربية العائلة (زلات الوالدين) (ص٦٤) .

١٠ - آخـــرون :

عشرات المربين قديمًا وحديثًا ، وقفوا من العقوبات البدنية موقف الريبة والمعارضة ، وأثبتوا ما لها من أضرار كثيرة ، تتوافق مع ما ذكره هؤلاء المربين ، وما أثبتناه في تحليلنا المطول الذي استغرق صفحات كثيرة من هذا الكتاب ، وما بذلناه من جهد كبير ، لإقناع المترددين في اجتناب العقوبات البدنية ، خاصة ما يتعارض مع احترام الإنسان وشعوره بكرامته .

والمنكرون للضرب يحتجون بأنه :

« أ - وسيلة بدائية لا تتناسب مع عصرنا .

ب - السماح به يجعل المعلم يستسهلها .

ج - يحطم شخصية الطفل ويجرح كرامته .

د - الضرب يجعلنا نعامل الصغير كأنه كبير مسؤول .

هـ - يلائم المعلمين الذين لديهم ميل للسيطرة والعنف والتطرف .

و - الضرب يزعج المعلم ويؤنب ضميره .

ز - الضرب يفقد الطالب استجابته لمعلمه .

ح - الضرب يبذر كراهية الطالب لمعلمه .

ط - الضرب يفقد قيمته بالاعتياد عليه .

ي - الضرب يؤدي إلى تمرد الأبناء وهروبهم والجنوح .

ك - الضرب يغير حالة المعلم النفسية ، من مربي إلى جلاد فمنتقم ، خاصة مع انفعاله ضد الطالب »[1] .

وما ذكر من أقوال هؤلاء العلماء والمربين ، قديمًا وحديثًا ، يؤكد الأضرار الناتجة عن العقوبات البدنية والنفسية المؤثرة ، وأنها لم تعد صالحة لاستعمالها ، بأي شكل من الأشكال ، في عالم التربية والتعليم المعاصر ، وأن الدفاع عنها لا مبرر له على الإطلاق .

ثالثًا :ـ أقوال من أجاز الضرب في التربية :

كما استشهدنا بأقوال من منع الضرب ، وحذر منه في القديم والحديث ، فمن الإنصاف للحقيقة واستكمالًا للبحث ، أن نعرض لأقوال من أيد العقوبة البدنية والضرب ، كوسيلة من وسائل التربية والتهذيب في القديم والحديث .

١ - المذاهب الفقهية الأربعة :

أجازت الضرب بشروط وضوابط ، أخلاقية وسلوكية وبيئية كثيرة ، وحددت المسؤولية الجنائية والتشريعية للتنفيذ ، ولم تعط هذا الحق للجميع ، استنادًا إلى الحديث الشريف « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها**

(١) معروف زريق في كتابه كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم (ص٧٥) .

وهم أبناء عشر .. »[1] . والحديث الشريف أمر الآباء بالتعليم والتوجيه لمدة ثلاث سنوات، وبعدها تكون المحاسبة ، على ركن عظيم من أركان الإسلام ، وأجازت الضرب على غير الصلاة ، اجتهادًا في النص وليس تقريرًا به ، وإذا كان أمرًا اجتهاديًّا ، فيما ليس مما علم من الدين بالضرورة ، فما ندري لِمَ بقاء هذا الاجتهاد في غير الصلاة على ما كان الناس عليه فيما سبق من العصور والظروف ، لعلمنا بتغير الأحكام بتغير الأزمان ، ويبقى الفارق في الاجتهاد ، بين من له سلطة دائمة على الأبناء ، وهو ولي الأمر من الوالدين ومن يقوم مقامهما كالوصي والجد والعم في حال غياب الأب ، ومن له سلطة مؤقتة محدودة ، كالمربي والمعلم والموجه ، وذكرت ذلك تفصيلًا فيما سبق من الكتاب .

٢ – العالم والمفكر والطبيب ابن سينا :

يقول في كتابه سياسة الرجل ولده : « فينبغي لقيِّم الصبي أن يجنبه مقابح الأفعال ، ويُنَكِّب عنه معايب العادات ، بالترهيب والترغيب ، والإيناس والإيحاش ، وبالإعراض والإقبال ، بالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ، ما كان كافيًا ، فإن احتاج إلى الضرب ، فليكن قليلًا موجعًا ، كما أشار به الحكماء ، بعد الإرهاب الشديد ، وإعداد الشفعاء ،

(١) سبق تخريج الحديث في (ص٢٣) .

فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ، ساء ظن الصبي بما بعدها ، واشتد منها خوفه » [1] .

٣ - العز بن عبد السلام :

ذكر عز الدين بن عبد السلام ، في كتابه قواعد الأحكام : « من أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد ، مع رجحان مصالحها على مفاسدها : ضرب الصبيان على ترك الصلاة ، والصيام ، وغير ذلك من المصالح ، إشارة إلى حديث » مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر .. [2] « فإن قيل : إذا كان الصبي لا يصلحه إلا الضرب المبرح ، فهل يجوز ضربه ، تحصيلًا لمصلحة تأديبه قلنا : لا يجوز ذلك . . . لأن الضرب الذي لا يبرح مفسدة ، وإنما جاز لكونه وسيلة إلى مصلحة التأديب ، فإذا لم يحصل التأديب به ، سقط الضرب الخفيف ، كما يسقط الضرب الشديد ، لأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد » [3] .

٤ - د . فاخر عاقل :

حديثنا عن العقاب يجب ألا ينسينا أنه شكل من أشكال

(١) عن كتاب تطور الفكر التربوي د . سعد مرسي أحمد (ص٢٧١) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) قواعد الأحكام لابن عبد السلام (ص١/١٢١) .

الجزاء ، وأن لهذا الجزاء شكلًا آخر هو الثواب ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وأن للعقاب البدني أنواعًا منها : فرك الأذن ، والضرب على ظاهر اليد بالكف ، وصفع القفا باليد ، وصفع الخد ، واستعمال العصا على اليد والرجل ، أو القفا أو غير ذلك من الأشكال .

وغني عن البيان أيضًا ، أن الوالد النبيه .. إذا اضطر للعقاب بدأ بأهونه ، ولم ينتقل إلى ما هو أشد إلا كارهًا وحذرًا ، ولم يصل إلى العقاب الجسدي إلا بعد أن يكون قد استنفذ كل وسيلة وجرب كل حيلة ، وقديمًا قيل : آخر الدواء الكي » [1] .

٥ - آرنوف وَيتيج :

أستاذ علم النفس بجامعة بول الأمريكية يقول في كتابه سيكولوجية التعلم : « لم يتم حسم مسألة مدى فاعلية استخدام العقاب لقمع السلوك بشيء من الوضوح ، ولا ينبغي زيادة شدة العقاب تدريجيًا ، فقد أوضحت البحوث .. أن الكائن الحي يميل إلى التكيف مع كل مستوى لاحق من مستوى العقاب » [2] ، ويبين الكاتب تخوفه من تحول العقاب إلى عقاب الذات ، أو عقاب العصاب ، أو عقاب التعزيز

(١) في كتابه معالم التربية (ص٣٣٦) .

(٢) في كتابه المذكور (ص١١٧) .

السالب ، ويلقي الضوء على أثر العقاب البدني على المعاقب ، وأنواع ردود فعله تجاهه ، ويفصل تفصيلات متعددة لأثر العقاب على العملية التربوية والسلوك المنفعل به ، ويعطي حلولًا لأكثر من ستمائة مسألة تربوية في كتابه » [1] .

تعقيب :

تعقيبي على مواقف هؤلاء المؤيدين لاستخدام الضرب ، أو العقوبات البدنية ، أن تدقيق النظر في فحوى مواقفهم من العقوبة البدنية ، لا تعني تأييـدهم الضرب على إطلاقه ، بل إن التحفظات التي يشترطونها لإجراء تلك العقوبة ، لا تتوافق بتاتًا مع الممارسات غير التربوية للعقوبات البدنية ، التي غالبًا ما تفتقد توفر الشروط المطلوبة فيها ، أثناء استخدامها في بيوتنا ومدارسنا العربية ، مما يجعل تصنيفهم في صف المؤيدين لاستخدام الضرب ، الذي يجري في بلادنا في العصر الحاضر، فيه شيء من عدم الإنصاف ، بسبب تحفظهم الشديد تجاه طريقة الاستخدام لتكون وسيلة ردع تربوية .

رابعا : ـ الإرادة صانعة القرار:

ما من قرار إلا وتصنعه إرادة ، والإرادة الحرة الحازمة ، المحاطة بالعلم والمعرفة ، والمتسلحة بالخبرة والتجربة ، تغير العالم ما دامت حليفة الصدق والأمانة ، لأن « ما يميز

(١) ترجمة د. عادل عز الدين الأشول وزملائه الأربعة .

الكلمة الصادقة ، بأنها هي القادرة على تغيير العالم »[1] ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] .

أما الطاعة الآلية ، المستجيبة بالرهبة والخوف ، والتسلط والقهر ، فإنها صدى إرادة ، وسراب طاعة ، ظاهرها السلامة وباطنها الخراب ، فإذا غاب الآمر وغفل الرقيب ، فلا طاعة ولا أمانة ، ولا إنجاز ولا إبداع ، وإنما « التخلف (الذي) يكافئ التسلط ، والتسلط يكافئ الجمود والعطالة »[2] .

إن التربية القائمة على تدريب الأعضاء الظاهرة ، هي تربية قِرَديَّة ، لأن : « التنشئة تنتمي إلى الإنسان ، أما التدريب فإنه مصمم من أجل الحيوانات »[3] ، ولذا كانت التربية الحقيقية ، تربية للإرادة ، لأنها مصدر حركة السلوك ، والقوة الضابطة له ، فإذا كان يرادفها الحرية والاقتناع ، أبدعت وأنجزت وسلمت من كل علل النفاق والرياء والغش والخيانة ، لأن : « الإنسان كثيرًا ما يكون في الحياة أحوج إلى الإرادة منه إلى الذكاء وقوة الإدراك ، لكي يقوم بالواجب المطلوب ، ويدافع عن مصلحته ، والإرادة تارة

(١) باولو فرايدي في كتابه تعليم المقهورين ترجمة د . يوسف نور عوض (ص٦٧) .

(٢) د . علي أسعد وطفة في كتابه علم الاجتماع التربوي (ص١٩٢) .

(٣) الرئيس علي عزت في كتابه الإسلام بين الشرق والغرب (ص١٨٤) .

تكون قوة ضابطة وتارة قوة محركة » .. (لأن) قوة الفكر بالحقيقة ، ضعيفة إذا لم يرافقها الشعور ، والقلب يثير الهمة والنشاط أكثر من العقل ، وهو منبع الأفكار السامية [1] .

إن تربية الإرادة معناه دمج الفرد في الجماعة والمجتمع ، بحيث يصبح عنصرًا فاعلًا ومشاركًا ، وإلا عزل نفسه حينما يشعر بأنه حرم حقوقه فيه ، مهما بدت طاعته لهذا المجتمع ظاهريًّا ، يقول القاضي حسن عشماوي : « حين نربي الطفل على الإقناع والمشاركة والتفاهم ، فإننا نربي أمة من الأحرار ، لأن ذلك متصل بحق الإنسان في حرية الفكر والقول والعمل .. ويجب أن نحذر إصدار الأوامر ، .. ويجب أن نقصرها على أضيق الحدود ، .. لأن الطاعة دون اقتناع ، يسهل التخلص منها في الخفاء » [2] .

وأثر العقاب على الإرادة كبير ، فما من سوء تكيف مع النظام والقانون ، إلا كان ورائه ضعف في الاقتناع ، وظلم في الحقوق ، وقسوة في المعاملة ، ولذا كان الاعتدال بين الحقوق والواجبات خير سبيل للنجاح ، يقول فيلكس توما : « لا شيء أسوء في تربية الإرادة ، كالإفراط في الملام والتوبيخ ، أو إثقال الواجبات ، لأن قتل الإرادة يكون بكثرة تعريضها للفشل ، أو القعود والكسل ، والتشجيع خير

(١) فيلكس توما في كتابه تربية العائلة (زلة الوالدين) (ص١٣٠ ، ١٣٤) .
(٢) في كتابه كيف نربي أولادنا (ص١٧ ، ٤١) .

محفز » [1] .

نتائج سلبية للعقاب البدني :

ويبين د . عمر بشير الطويبي أثر العقاب على سلوك الأبناء فيقول : « إن أساليب العقاب البدني واللفظي والنفسي ، تؤدي بصورة عامة إلى نتائج سلبية غير مرغوبة :

١ - غير فعَّال على المدى البعيد ، لأنه لا يبين للطفل السلوك المرغوب فيه ، وقد يعزز الخطأ ، فيستمر فيه لجلب الانتباه أو التحدي ..

٢ - يتعلم بالعقاب أنماطًا من السلوك الهروبي : كالكذب والغش والانسحاب .

٣ - يكون المعاقب عن نفسه صورة سلبية إنهزامية ، فينسى إيجابيات نفسه وشخصه ، بسبب التركيز على السلبيات والفشل » [2] .

لقد وردت في القرآن الكريم كلمة أراد ومشتقاتها ، بالمفرد والمثنى والجمع ، والمتكلم والغائب ، والمذكر والمؤنث ، والحاضر والماضي ، مائة وثمانية وأربعون مرة ، ومثل هذا العدد والتنوع يدل على أنه مقصود لا اعتباط فيه ، ولو أجرينا تحليلًا في تنوعها ، لوجدنا لها علاقة كبيرة ، في

(١) في كتابه تربية العائلة (زلات الوالدين) (ص١٣٦) .
(٢) في كتابه التدريس والصحة النفسية (ص١٤٦) .

تحديد مسؤولية الإنسان عن عمله وتصرفاته ، فهل يعقل أن تحاسب الإرادة عن أعمالها ، ثم لا تربى التربية الصحيحة ، وتعطى حرية اتخاذ القرار وصناعته ، وقد نفى اللَّه تعالى عنها الإكراه ، في أوجب واجبات الإنسان تجاه خالقه ، ألا وهي الدين في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وإحاطة الإرادة بسياج من الحرية ، وإحسان في التربية والتنشئة ، ليس إلا لتبدع في تحمل مسؤولياتها ، وتحسن في تصرفاتها ، وتنفع صاحبها وذويها ، بل ليعم نفعها المخلوقات بأسرها ، لئلا يظهر الفساد في البر والبحر ، بما كسبت أيدي الناس ، كما أخبر اللَّه تعالى في كتابه القرآن الكريم ، دستور الحياة ومنهج المسلمين .

خامسا - البيت مدرسة إن أعددته :

البيت المحضن الأول للإنسان ، وصدر الأم ودفء حنانه ، الشاحن الأول للمشاعر الفياضة المعطاء ، والإنسان الذي يولد في بيت ، يرفرف فيه حب أفراد الأسرة لبعضهم ، يغذى فيه بالود والرضى ، ممزوجًا بصفاء حليب أمه ، ورقة نداءات أبيه وجده ، بينما نجد : « أن جو المشاحنات في الأسرة ، من أشد الأجواء تأثيرًا في إيجاد صعوبات في التكيف ، تعرقل حسن نمو الأبناء » [1] .

---

(١) نعيم الرفاعي في كتابه الصحة النفسية (ص٣٩٨) .

إذا كانت العلاقة بين الأبناء والأسرة قوية ، أصبح البيت مصدرًا من مصادر معرفتهم ، ومدرسة يتلقون منها خبرتهم ، و : « عندما لا يجد الأولاد في أبيهم وأمهم مرشدًا ، ينير ظلمات جهلهم ، يلتجئون بلا ريب إلى سواهما ، فيلاقون عندهم تلك التربية التي قد نبذاها ، يلاقونها عند من هم أحط منهما مدارك ، وأقل استقامة »[1] .

لا يحمل الطفل من بيته إلى مدرسته ، مجرد حقائب وكراريس وأقلام ، وإنما يحمل معه دماء أمه وأبيه ، واستعداداتهما المرضِية ، وقابليتهما الصفاتية في الأخلاق ، واللغة التي يتحدثون بها ، والمظهر الذي يتزيون به ، والألبسة التي يرتدونها ، والدين الذي يعتنقوه ، والجنسية التي ينتسبوا إليها ، والعرق الذي ينتموا إليه ، والثقافة التي يتغنوا بها ، والمذهب الذي يميلون إليه ، والجماعة التي ينضمون إليها ، والنادي الذي يشجعون ، والمال الذي يملكون ، وكل هذه الأحمال الثقيلة ، لا ضرر منها ولا خطر ، طالما أن البيت في وئام وسلام ، والجو فيه مبني على الحوار والاحترام ، والحب والود .

والويل كل الويل ، إذا قدم الأطفال إلى المدرسة ، وبيوتهم مبنية على الشحناء والبغضاء ، والاستبداد والاستعلاء ، فيبدأ

(١) فيلكس توما في كتابه تربية العائلة (ص٧٧) .

الأبناء في اكتشاف الفوارق بينهم وبين الآخرين ، ويتلمسوا القيم الجديدة ، التي تتعارض مع ما تلقوه في بيوتهم ، على أنه مسلمات ، ويبدأ الصراع ، ويتمرد الأبناء على ذويهم ، مقاومة للقيم المغلوطة التي تربوا عليها ، وتتضح جسامة المعاناة ، التي يتعرضون إليها في اختلاف الأبوين ، وسوء معاملتهم ، بالإضافة إلى تفاوت ما ورَّثوه إليهم من خصال ، وما حمَّلوهم من أثقال .

فإذا أخذت المدرسة بأيديهم وحنت عليهم ، خف الضغط وحسن التكيف ، لما يتلقوه من معارف ، وما يكتسبوه من خبرات ، فإذا كانت المدرسة على شبه بالبيت ومشكلاته ، فالطامة تقع على نفوس هذه البراعم الطرية وعقولهم الندية ، فلا هم خلصوا من البيت التعيس ، ولا هم أووا إلى ظل مدرسة ظليل .

ولذا قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في وصيته للمعلمين : « أعيذكم باللَّه يا أبنائي ، أن تجعلوا اعتمادكم في تربية الصغار للرجولة ، على البرامج والكتب ، فإن النظم الآلية لا تبني عالمًا ، ولا تكون أمة ، ولا تجدد حياة ، وإنما هي ضوابط وأعلام ، ترشد إلى الغاية .. أما العمدة الحقيقية ، فهي ما يفيض من نفوسكم ، على نفوس تلاميذكم الناشئين من أخلاق ، وما تبثونه في أرواحهم من قوة وعزم ، وفي أفكارهم من إصابة وتسديد ، وفي نزعاتهم من إصلاح

وتقويم ، وفي ألسنتهم من إفصاح وإبانة .. »[1] .

ولذا لابد للبيت من مراجعة حساباته ، بين الفينة والأخرى ، في طريقة تربية الأبناء ، ووسائل تهذيبهم ، ومشاورتهم فيما يزعجهم وما يرضيهم ، لئلا يكون كمن يزرع في البحر ، أو يغرس في الصخر ، ولئلا نندم في ساعة لا ينفع فيها الندم ، على ما نفرط في حق الأبناء فلذات الأكباد .

* * *

(١) محمد بن إبراهيم الحمد في كتابه مع المعلمين (ص١٩) عن عيون البصائر (ص٢٩١) .

الفصل الخامس

عمل استبانة تربوية وتحليلها

أولا : كيفية إجراء الاستبانة التربوية .

ثانيا : تحليل نتائج الاستبانة التربوية .

ثالثا : رصد خلفية مجتمع وبيئة طلاب الاستبانة .

رابعا : ردود فعل الأبناء تجاه الضرب التربوي .

خامسا : عقوبات غير بدنية أشد من الضرب .

تبدو مدارس العرب - القديمة - كخلايا النحل الدائبة النشاط ، تخرج للجميع شهدًا حلوًا فيه شفاء الناس [المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة] .




الفَصْلُ الخَامِسُ

عمل استبانة تربوية وتحليلها

أولًا :ـ كيفية إجراء الاستبانة التربوية :

أجريت هذه الاستبانة في المدرسة التي أعمل بها ، على طلابي الذين أدرسهم ، في الصف الأول إعدادي لسنة ٢٠٠٢م ، وكان غرضي من هذه الاستبانة ، استخراج عامل الارتباط بين النجاح والعقوبة البدنية ، وجاءت الأسئلة في ثلاث مجموعات ، الأولى في الأسرة ، والثانية في المدرسة ، والثالثة في الطالب ، وكل مجموعة مكونة من سبعة أسئلة .

كان عدد الطلاب الذين شملهم الاستبانة ، مئة وسبعة عشر طالبًا ، شرحتُ لهم الاستبانة والغرض منها ، على أساس أن يعتبروا حقل دائمًا ما كان الجواب بنسبة ٧٦ – ١٠٠ ٪ ، وحقل كثيرًا ما كان بنسبة ٥١ – ٧٥ ٪ ، وحقل قليلًا ما كان بنسبة ٢٦ – ٥٠ ٪ ، وحقل أحيانًا ما كان بنسبة ١ – ٢٥ ٪ ، وحقل أبدًا ما كان بنسبة صفر ٪ .

والغريب في الأمر ، أن الطلاب تجاوبوا مع الاستبانة ، بشكل فاق التوقع – لأني كنت أتصور ، بناء على لا مبالاة نسبة لا بأس بها من الطلاب ، مع الامتحانات والاختبارات

المدرسية ، أن هذا الأمر سينعكس سلبًا ، على تجاوب الطلاب مع الاستبانة بنفس الدرجة - لأجد الإجابات شاملة وبدقة كبيرة لكافة الأسئلة ، فلم أجد ورقة مهملة ، بعد أن عرفوا أن هذه الاستبانة ، لفهم أثر الضرب والعقوبات البدنية على السلوك التربوي .

لكن سقطت بعض الإجابات ، من بعض المربعات ، وكانت عشرين إجابة ، مما اضطرني أن أحصي هذه الإجابات ، وأنقص نسبتها من المجموع العام ، للمحافظة على صدق النسبة والتحليل ، بعد اعتماد النسبة المئوية ، وجبر الجزء من الكسر العشري ، حال تجاوزه الخمسين في المائة من الواحد ، إلى الواحد الصحيح ، وإهماله إذا قَصُر عن هذا المقدار .

ملاحظة أخيرة في الاستبانة ، ضعف ضبط الطلاب ترتيب نجاحهم ، في الصفوف السابقة بسبب النسيان ، والعامل النفسي في كراهية النجاح المتدني ، وغض الطرف عنه ، ومع ذلك قاربت إجابات غالبية الطلاب الحقيقة والواقع .

استبانة عن الجزاء التربوي :

رقمي في الصف ( ) شعبتي المدرسية ( ) عمري ( ) ترتيبي بين الأبناء ( ) ترتيب النجاح في الصف الأول الابتدائي ( ) الثالث ( ) الخامس ( ) الأول إعدادي ( ) .

أجب عن الأسئلة التالية بدقة : وذلك بوضع إشارة صح (√) أمام إجابة واحدة من الجداول التالية :

م	الســـــؤال	دائمًا	كثيرًا	قليلًا	أحيانًا	أبدًا	ملاحظات
١	سروري في بيتي وأسرتي .						
٢	أتعرض للضرب من قبل أهلي .						
٣	أشعر بالأمان في بيتي وأسرتي .						
٤	سروري في المدارس السابقة .						
٥	سروري في مدرستي الحالية .						
٦	أتعرض للضرب من قبل المعلمين .						
٧	أتعرض للضرب من قبل الأخصائيين .						
٨	أشعر بالأمان في المدرسة .						
٩	الاحترام متبادل مع زملائي .						
١٠	أرى أن الضرب جزاءٌ عادلٌ .						

١١	ألقى الترحيب والتشجيع في البيت والمدرسة .						
١٢	أثق بنفسي وقدراتي .						
١٣	ألتزم أداء الصلوات الخمس .						
١٤	أتقن حفظ النصوص المقرر حفظها .						
١٥	أعمل على أداء واجباتي المدرسية .						
١٦	أذاكر دروسي دون تأجيل يوميًا .						
١٧	أمارس هواية الرياضة بشكل منتظم .						
١٨	أشعر بحب الحياة والآخرين .						
١٩	أملي كبير في النجاح والتفوق في الحياة .						
٢٠	أحب الصدق والأمانة قولًا وعملًا .						
٢١	اجتهد أن أستمر في دراستي إلى الثانوية .						

* الجدول دراسة استبانية لتحسين الأداء التعليمي والتربوي .



وقد نشرت صحيفة أخبار العرب الإماراتية يوم السبت ١٠/ شوال / ١٤٢٣هـ - الموافق ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٢م خبر الدراسة والاستبانة التي أجريتها على أثر عقوبة الضرب على أبنائنا الطلاب وانعكاس هذا الأثر على تحصيلهم العلمي وشعورهم النفسي .

ثانيا : - تحليل نتائج الاستبانة التربوية :

استبانة عن الجزاء التربوي :

رقمي في الصف (   ) شعبتي المدرسية (   ) عمري (   ) ترتيبي بين الأبناء (   ) .

ترتيب النجاح في الصف الأول الابتدائي (   ) الثالث (   ) الخامس (   ) الأول إعدادي (   ) .

أجب عن الأسئلة التالية بدقة : وذلك بوضع إشارة صح (√) أمام إجابة واحدة من الحقول التالية :

م	السؤال النسبة المئوية لورود جواب السؤال	دائمًا ٪	كثيرًا ٪	قليلًا ٪	أحيانًا ٪	أبدًا ٪	المجموع
١	سروري في بيتي وأسرتي .	٥٨	٢٧	٩	٥	٢	١٠١
٢	أتعرض للضرب من قبل أهلي .	٩	١٦	١٤	٤٢	١٩	١٠٠
٣	أشعر بالأمان في بيتي وأسرتي .	٧٢	١٥	٤	٤	٤	٠٩٩
٤	سروري في المدارس السابقة .	٣٣	٣٥	١٨	١٠	٤	١٠٠
٥	سروري في مدرستي الحالية .	٤٠	٣٢	١٥	٦	٦	٠٩٩
٦	أتعرض للضرب من قبل المعلمين .	٨	١١	١٨	٤٤	١٩	١٠٠
٧	أتعرض للضرب من قبل الأخصائين .	٧	٢	٣	١٣	٧٥	١٠٠
٨	أشعر بالأمان في بيتي وأسرتي .	٥٠	٢٦	١٦	٥	٣	١٠٠
٩	الاحترام متبادل مع زملائي .	٥٥	٢٧	٩	٦	١	٠٩٨
١٠	أرى أن الضرب جزاء عادل .	١٩	١١	١٢	١٩	٤١	١٠٢
١١	ألقى الترحيب والتشجيع في البيت والمدرسة .	٤٤	٣٦	١٠	٤	٧	١٠١

١٢	أثق بنفسي وقدراتي .	٦٢	٣٠	٣	٤	١	١٠٠
١٣	ألتزم أداء الصلوات الخمس .	٥٩	٢٠	١٤	٥	١	٠٩٩
١٤	أتقن حفظ النصوص المقرر حفظها .	٤٧	٢٣	١٧	٨	٥	١٠٠
١٥	أعمل على أداء واجباتي المدرسية .	٦٥	٢٢	٥	٦	١	٠٩٩
١٦	أذاكر دروسي دون تأجيل يوميًا .	٣٣	٣٧	٢٠	٩	٢	١٠١
١٧	أمارس هواية الرياضة بشكل منتظم .	٥٤	٢٦	١١	٥	٣	٠٩٩
١٨	أشعر بحب الحياة والآخرين .	٤٦	٣٤	١٤	٤	٢	١٠٠
١٩	أملي كبير في النجاح والتفوق في الحياة .	٦٦	٢١	٦	٥	٢	١٠٠
٢٠	أحب الصدق والأمانة قولًا وعملًا .	٧٣	٢٠	٥	٢	٠	١٠٠
٢١	أجتهد أن أستمر في دراستي إلى الثانوية .	٧٦	١٤	٥	٢	٣	١٠٠

* الجدول دراسة استبانية لتحسين الأداء التعليمي والتربوي .

بعد أن تحدثت عن كيفية إجراء الاستبانة ، وسد الثغرات الإجرائية فيها ، أحصيت الإجابات وأفرغت أعدادها في جدول مماثل ، وحسبت النسبة المئوية لها ، وعرضتها في الجدول السابق أعلاه .

ونلاحظ على نتائج الاستبانة ما يلي :

١ - **البيت والمدرسة مجتمع واحد** : إن نسبة الذين يتعرضون للضرب في البيت من قبل الأهل ، تتساوى مع نسبة الذين يتعرضون له في المدرسة من قبل المعلمين ، وهي (٨١ ٪) ، ولقد أدهشتني هذه النسبة بشكل كبير ، وهذا يؤكد أن المجتمع الذي يستخدم العقوبات البدنية في التربية ، تكاد تتساوى فيه وسائله بين البيت والمدرسة ، وأن ما يتعرض له الأبناء في البيت ، يتعرضون له في المدرسة كذلك ، وبهذا يتضاعف عليهم الخطأ في وسائل التربية ، ما بين البيت والمدرسة ، ولا بد من التنويه إلى أن بعضًا من الآباء هم معلمون أيضًا .

٢ - **عدم تمايز الرأي العام في قضية الضرب** : ويتبين لنا حسب النتيجة السابقة ، ألا فرق بين مجتمع أهل الثقافة وغيرهم ، في مسائل الرأي العام في مجتمعاتنا ، وهو ما أطلق عليه علماؤنا من السلف ، ما يسمى عموم البلوى ، وبيئتنا العربية لا زالت فقيرة إلى ما يسمى (ديمقراطية التربية) التربية الشورية ، وهذا يؤكد حاجتنا إلى التبديل

الجذري في المفاهيم التربوية ، على المستوى الاجتماعي والإعلامي ، ولا يكفي إصدار مرسوم منع الضرب في مدارسنا فحسب ، ونحن نعلم أن المورد الأساسي والوحيد للطلاب إلى مدارسنا هو البيت ، فمن يتولى أمر التوعية التربوية لبيوتنا حتى يصل منها إلى مدارسنا طلابًا أسوياء ؟ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وهذا لا يعني عدم تأثير الثقافة ، على السلوك اليومي في التعامل مع الأبناء ، لكن للرأي العام ضغطًا يشملهم في خلفية الصورة لا في رسمها وخطوطها ، بتأثير العادة وضغوط البيئة والتقاليد .

٣ - عدد كبير من الطلاب يؤيدون الضرب : والملاحظة الثالثة الأكثر دهشة في الاستبانة ، أن نسبة عدد المقتنعين بأن الضرب جزاء عادل دائمًا ، هي نفس نسبة الذين لا يتعرضون له أبدًا وهي (١٩ ٪) كذلك ، أما نسبة الذين يعتبرون الضرب جزاء عادل بنسبة ما ، في شتى المستويات والحقول (٥٩ ٪) ، وأن (٤١ ٪) لا يعتبرون العقوبات البدنية جزاء عادل أبدًا ، وأن الذين يعتبرونها جزاء عادل دائمًا وكثيرًا نسبتهم (٣٠ ٪) ، بينما نجد أن (٣١ ٪) من الطلاب ، [وهم في حقلي قليلًا وأحيانًا] يعتبرون أن (٧٠ ٪) من حالات العقوبات البدنية هي حالات ظالمة ، تفتقر إلى العدل والإنصاف ، ذلك أن المصوتين في حقل قليلًا على نسبة ٤٠ ٪ ، بينما في حقل أحيانًا على نسبة

٢٠ ٪ ، فيكون متوسط الحقلين ٣٠ ٪ من الحالات ، وبالتالي فحسب مفهوم المخالفة ، ينظروا إلى النسبة المتبقية من الحالات وهي ٧٠ ٪ على أنها عقوبات ظالمة وجائرة ، وبالتالي إذا جمعنا نسبة المعارضين للعقوبات البدنية في جميع الأحوال ٤١ ٪ ، مع المتحفظين عليها وهم ٣١ ٪ تكون النسبة ٧٢ ٪ معارضين للعقوبات بشكل من الأشكال .

٤ – غالبية الطلاب يرفضون عقوبة الضرب : وبالتحليل الدقيق نجد أن معظم الطلاب ، (٧٠ ٪) تقريبًا لا يؤيدون العقوبات البدنية ، والظاهرة غير الصحية تأييد نسبة من الطلاب لاستخدام العقوبات البدنية في التربية ، وهم (٣٠٪) ، يضاف إليهم متوسط نسبة حقلي قليلًا وأحيانًا ، وهي (٩ ٪) ، مما يعني أن (٤٠ ٪) تقريبًا – بعد جبر الكسر العشري – تؤيد العقوبات البدنية ، وتعتبرها جزاء عادلًا ، لعلاج المخالفات السلوكية والتربوية في المدرسة والبيت ، وهذا له أثره السيئ على سلوك الأبناء حاضرًا ومستقبلًا ، سواء في تحمل نتائج الكسل والفشل الدراسي والسلوكي ، من خلال عقوبات مقدور عليها بالتحمل والاعتياد ، بالإضافة إلى اتخاذها وسيلة من وسائل التفاهم فيما بينهم ، لحل مشكلاتهم السلوكية ، واعتمادها منهجًا بطوليًا لحل كثير من مشكلاتهم ، مما يدفع بهم بعيدًا عن الجو التربوي الهادئ والرزين والنظيف ، لأن هذه الوسائل

تستدعي بيئة نشطة في التلوث الفكري والسلوكي ، تؤدي إلى الجنوح والانحراف ، ومن ثم اعتمادهم العنف في تربية الأجيال اللاحقة ، وما ينتج عنه من أضرار وآثام .

٥ - تدني التفاعل الإيجابي للأبناء في جو عقوبة الضرب :

تشير الاستبانة إلى تدني نسب جميع النواحي الإيجابية لدى الأبناء ، بما يعادل تعرضهم للعقوبات البدنية ، فمثلًا نجد أن نسبة الذين يتعرضون للضرب كثيرًا من قبل الأهل والمدرسة ٢٥ ٪ ، ونسبة الذين يفتقدون الفرح والسرور في البيت والمدرسة ٢٥ ٪ تقريبًا ، ونسبة من لا يحسنون حفظ النصوص غيبًا ٢٥ ٪ أيضًا ، ونسبة من لا يذاكر دروسه جيدًا ٣٠ ٪ ، ونسبة من يفتقد السرور والجاذبية للمدرسة ٣٠ ٪ تقريبًا ، بينما تنخفض نسبة عدم ممارسة النشاط الرياضي إلى ٢٠ ٪ ، وكذلك تنخفض نسبة عدم الشعور بحب الحياة والآخرين إلى ٢٠ ٪ أيضًا ، وهذه النتائج قرائن على آثار الضرب والعقوبات البدنية في أبنائنا وطلابنا ، إن لم تكن هذه جميعها فيهم ، إلا أن الدراسات الأخرى الموسعة ، تشير إلى بعض هذه النتائج في الأبناء ، مما يستدعي مزيدًا من التبصر وإعادة النظر في وسائلنا التربوية ، لئلا يكون لها أي أثر سلبي على العملية التربوية والتعليمية لأبنائنا .

٦ - المثل والقيم شديدة التجزر في حياة أبنائنا : الملاحظ في الاستبانة قوة العوامل النفسية والأخلاقية مثل الأمل في

النجاح ، وحب الحياة والآخرين ، والاحترام المتبادل ، بالإضافة إلى شدة الترابط المعنوي بين أبنائنا وهيئاتهم الاجتماعية ، وعلى رأسها المدرسة والبيت والزملاء ، مما يرفع سوية الثقة بالنفس إلى ٩٢ ٪ ، وهذا يؤدي إلى الأمل الكبير في النجاح والتفوق في الحياة ٨٧ ٪ ، ومع أن نتائج إحصاء استخدام الضرب ، في العملية التربوية والتعليمية في البيت والمدرسة كبيرة ، ومنذرة بالخوف والخطر ، إلا أنه لا توجد ولا حالة واحدة لتحطم المثل الأخلاقي في أبنائنا وعلى رأسه حب الصدق ، فكان الحقل الوحيد والمربع اليتيم ، الذي خلى من التصويت ، فكانت نتيجته صفر ، هو المربع الأخير للسؤال ٢٠ عن محبة الصدق والأمانة ، وهذه إيجابية كبيرة ، على الرغم من الأثر السيئ للعقوبات البدنية .

٧ - أهمية عمل الأخصائيين التربويين : أما بالنسبة للأخصائيين ، فإن نسبة من يتعرض من أبنائنا للضرب من قبلهم ، لا يتجاوز ثلث نسبة من يتعرضون له من قبل الأهل والمعلمين ٢٥ ٪ ، وأما من يتعرض لهذه العقوبة بشكل دائم من قبلهم ، فلا يتجاوز نصف نسبة من يتعرض لها من قبل الأهل والمعلمين بنفس الدرجة ٩ ٪ فقط ، وهذا بسبب قلة احتكاك الطلاب بالأخصائيين ، والعدد الكبير المخصص لكل أخصائي ، وربما كان السبب في ذلك ، أن الأخصائي يطبق الإرشادات التربوية في علاج مشكلات الطلاب ، ولا

يحكمه وقت حصة محددة ، تستدعي العلاج السريع الذي يلجأ إليه المدرسون عادة ، حفاظًا على وقت الحصة الدراسية .

٨ - عقوبة الضرب تقلص الرغبة في التعلم : ما يلفت الانتباه في الاستبانة ، أن الأبناء يتعاملون مع العملية التعليمية ، بصورة الواجب الملزم فحسب ، فيؤدون الواجبات (وهي متطلبات آنية ضئيلة ، عليها محاسبة ومتابعة ، وربما عقوبة في حال الإهمال) بنسبة ٨٧ ٪ ، بينما تنخفض نسبة المذاكرة الطوعية اليومية إلى ٧٠ ٪ ، مما يجعلنا نكتشف بأن التعلم الذاتي برغبة شخصية ، يتناسب عكسًا مع استخدام العقوبات البدنية في البيت والمدرسة ، وهذا الأمر محسوس ملموس ، تؤكده الدراسات التربوية ، والأبحاث النفسية ، والعلوم الاجتماعية .

٩ - شدة العقوبات المدرسية تنفر الطلاب : لقد أكد علماء النفس والتربية ، حصول انسحاب كلي من التعليم ، حين اشتداد العقوبات البدنية أو تكرارها ، ونجد في الاستبانة تأكيد لهذه النتيجة بصورة ما ، حين اجتماع العقوبة البدنية من ثلاث جهات على الأبناء ، من جهة الأهل والمعلمين ثم الأخصائيين التربويين ، فتكون نسبة المنسحبين من الاستمرار في التعلم إلى المرحلة الثانوية ١٠ ٪ ، وهي ذات النسبة التي تجتمع عليها العقوبات من الجهات الثلاث .

١٠ - تدني المستوى التعليمي لدى المتعرضين للضرب : من المؤكد أن غالبية الطلاب المتعرضين للعقوبات البدنية

بكثرة ، أن ينعكس ذلك على مستوى تحصيلهم العلمي ، وهذا ما أكدته الاستبانة ، من خلال مقارنة المستوى التحصيلي للمتعرضين للضرب الدائم ، من بداية المشوار المدرسي في الصف الأول الابتدائي ، إلى الصف الأول الإعدادي ، حيث تبين بالاستبانة ، تراجع كبير في المستوى العلمي لهؤلاء الطلاب ، وهذه النتيجة ليست بعيدة ، عما يجمع عليه العقلاء والمربون ، من الأثر السلبي للعقوبات البدنية على التحصيل العلمي للأبناء ، بل والأثر النفسي على سلوكياتهم وأخلاقهم كذلك .

ولقد ذكر أحد الطلاب على هامش الاستبانة ، وهو ممن يتعرض للضرب الدائم من قبل أهله ، بأنه لا يعود إلى البيت حتى الساعة الواحدة ليلًا ، وبأنه لا يشعر بأي سرور في بيته وأسرته ، ولو أني ضمنت الاستبانة أسئلة أخرى أكثر جرأة وصراحة ، لأجاب الطلاب عليها بما يكشف سلبيات واستنتاجات أكثر خطورة ، مما كشفته هذه الاستبانة بحالتها المتواضعة ، وفي جميع الأحوال ، فإن قليل المرض إذا فشا ولم يعالج ، أزمن وأوصل إلى كثيره وأصبح سرطانًا ، وهذه الدراسة ليست سوى جهد متواضع ، على طريق الاستشفاء الطويل ، في سبيل منهج تربوي صالح وصحيح وسليم .

ثالثا - رصد خلفية بيئة طلاب الاستبانة :

ليس غريبًا تفاوت بيئات المجتمع الأسري لطلابنا ، فهم ينحدرون من بيئة واحدة بظروف مختلفة ، أشد أنواع الاختلاف ، وسأرصد بعضًا من هذه الاختلافات في هذه الفقرة ، ليصار إلى فهم صحيح ، وتعليل معقول ، لنتائج الاستبانة السالف الذكر ، **ومن هذه الظروف والاختلافات ما يلي :**

١ - التفاوت المادي في دخل الأسر :

بعض الطلاب يعيش في أسرة دخلها وافر ، يؤمن جميع احتياجات الطالب ومتطلباته الأساسية والثانوية ، فلا يشعر بأي عوز أو حاجة ، والبعض الآخر وهم ليسوا قلة ، لا يكاد دخل الأسرة أن يغطي الحاجات الأساسية ، مما يشعر الأبناء بالعوز والفقر ، وهذا الشعور له تأثيره الكبير على سلوك الأبناء ، إلا في حال تفسيره تفسيرًا مقنعًا .

يقول أصحاب كتاب علم النفس التربوي : « تأثير الفقر في شخصية الطفل : الشعور بالنقص ، وفقدان الثقة بالنفس ، والخجل » [(١)] . وبالتالي ينعكس هذا الشعور على سلوك الأبناء ، سلبًا أو إيجابًا .

٢ - التفاوت الثقافي بين الأسر :

الملاحظ أن الطلاب المنتُسبين إلى آباء وأمهات مثقفين ،

(١) ترجمة د . إبراهيم حافظ ومحمد عثمان المجلد ٣ (ص٩٨) .

يتمتعون بقدرة على التأقلم مع المناهج الدراسية والتعليمية ، بشكل أكبر من زملائهم المنحدرين من أسر قليلة الثقافة والتعليم ، وهذا لا يعني حتمية ذلك ، فبعض الطلاب الأكثر فقرًا في المال والثقافة ، يتحدَّون ذلك ويبِّرزون في تعلمهم ، خاصة إذا توفر الجو النفسي المتوازن والعطوف داخل الأسرة ، وربما يلاحظ المربي أحيانًا ، أن تفوقَ بعض أبناء المثقفين شكليٌّ ، ولا يصل إلى التفوق الجوهري والعميق ، وهذه الملاحظة تبين أن العامل المادي والثقافي ليس حاسمًا ، في أثره على التربية والتعليم ، إلا إذا رافقه شروط صحية أخرى .

٣ - الإسراف في حماية الأبناء :

الغلو في الرقابة الأسرية والإسراف في حماية الأبناء والخوف عليهم ، نتيجة العوز العاطفي في طفولة أحد الوالدين أو كليهما ، أو تأخر الإنجاب ، أو كون المولود ذكرًا بين عدد من الأخوات ، أو أسلوب السيطرة الأبوية المتوارث في التربية ، أو البيئة الأخلاقية الصارمة المليئة بالممنوعات والأحوطيات ، إلى درجة أن يقال : أن شعور الأم في بلادنا شعور تملكي لأبنائها ، فلا ترغب في استقلاليتهم عنها ، ولا تهيئهم لاستقلاليتهم في الحياة ، حتى بعد الزواج ، ولا يقل الأب عن الأم في تربية الأبناء على التواكلية ، والعاطفة الطاغية في تحمل كامل المسؤولية ،

عن الأبناء في شتى أمورهم ، هذه الأمور وأمثالها تشكل عبئًا على السلوك العفوي ، الذي يحتاجه الأبناء في تعاملهم مع أنفسهم والآخرين .

٤ - الخلافات الزوجية والطلاق :

الجو المشحون بالخلافات الدائمة بين الزوجين ، لا يمكن أن يشكل بيئة صحية لتربية الأبناء ، بالإضافة إلى أن الطلاق يؤدي إلى حرمان الأبناء من جو التآلف الأسري ، فينضم الأبناء إلى أحد الأبويين ، وبالتالي يحرموا من معايشة أحدهم ، إلا لممًا في حال الزيارات إن وجدت ، وربما كان الطلاق أحيانًا ، أقل ضررًا من الاستمرار في الأجواء المشحونة بشكل دائم ، وهذه النتائج أكدتها الدراسات التربوية والنفسية المتعددة .

٥ - التسلط الأبوي في الأسرة :

العلاقات التسلطية في الأسرة ، سواء كانت من الأبوين أو أحدهما ، أو كانت من الأبناء على بعضهم البعض ، مثال تسلط الأخ الكبير أو الأخت الكبيرة ، له أكبر الأثر على سوء العلاقات الأسرية ، ويهدم جوانب كثيرة من بناء الشخصية السوية المتوازنة للأبناء ، وفي ظل هذه العلاقات تغيب (الديمقراطية) الشورى ، وتغيب لغة الحوار والمناقشة بين أفراد الأسرة ، وقد ينمّي مشاعر الغيرة والحسد بين الأبناء ، وبينهم

وبين الآخرين ، ويغذي المشاعر العدوانية لدى الأطفال ، ويدفع بهم إلى التمرد والانغلاق والسلوك الجانح فيما بعد .

يقول د . علي أسعد وطفة : « الكثير من الآباء لا يتورع في استخدام أشد أساليب العنف ضد أبنائهم إذا تبين لهم أن ذلك نافع ضمن زيادة مستوى تحصيلهم المدرسي » [١] .

٦ - المنافسة الشديدة بين الطلاب في المدرسة :

تغذية الإدارة المدرسية والمعلمين والأسرة للمنافسة الشديدة بين الطلاب - دون أن يحاط ذلك بمبررات أخلاقية وقيم وطنية ، تصب مردود هذه المنافسة في مصلحة وطنية ملموسة ، بالإضافة إلى حرمانهم منهجًا تعليميًا مرنًا ، يساعد على تلوين أوجه المنافسة بنشاطات متعددة ، تتيح فرص أكبر لجميع الطلاب ، في إظهار القدرات وإشباع الميول وتنمية المواهب ، خاصة إذا كان مجال المنافسة محصورًا في الكشف عن قدرات محدودة من الطاقات ، وهي الحفظ والتلقين والرياضة فحسب - يصيب الأبناء بالإحباط خاصة حين تحصر الجوائز والمكافآت ، في عدد محدود من الطلاب الأوائل فقط .

٧ - فقدان بيئة تنمية المواهب والهوايات :

من المعلوم أن الطالب من أبنائنا ، لديه مواهب وطاقات

---

(١) في كتابه إشكالية التسلط التربوي (ص٥٢) .

وميول متعددة ، وبيوتنا ومناهجنا المدرسية ، لا تلبي إلا القليل من متطلبات تنمية هذه الإمكانيات والمواهب ، وبالتالي ينعكس هذا القصور ، نشاطًا غير مرغوب في سلوكيات أبنائنا ، كنوع من التعويض عن تلبية هذه الحاجات النفسية والحركية ، فنجد لديهم المغالاة في لعب الكرة ، وحب شديد لتسجية الوقت في الشوارع والأندية ، أو التعلق الكبير بالرفاق والمجموعة ، مما يكسب الأبناء عادات سيئة في ضياع الأوقات وإهمال الواجبات ، وضعف الارتباط بالبيت والأسرة ، مما ينعكس سلبًا على المستوى التعليمي والأخلاقي ، ولو نظمت هذه الأمور بإشراف الراشدين والمرشدين ، لانعكس ذلك إيجابيًا على سلوك الأبناء ، فأثمر نجاحًا علميًا وأخلاقيًا يحفظهم من كل قصور وفشل .

٨ - إهمال الصلوات الخمس :

أظهرت الاستبانة أن ٤٠ ٪ من أبنائنا ، لا يلتزمون بأداء الصلوات الخمس التزامًا جيدًا ، ونحن نعلم أن أهم مرحلة لتعلم الالتزام بالصلاة ، هي مرحلة الطفولة والشباب ، فإذا أهمل تعليمها في هذه المرحلة ، صعب على الأبناء الالتزام بها فيما بعد ، ونحن نعلم ما للصلاة من أهمية كبيرة في تنمية الشخصية ، وحفظها من السلبيات النفسية والسلوكية في الحياة ، ولجميع الأعمار ، ولقد كانت من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ، وأكد على ذلك الدكتور (الكسيس

كاريل) الحائز على جائزة نوبل في الطب ، منذ أكثر من سبعين سنة ، في كتابه الشهير [الإنسان ذلك المجهول] حيث بين ما للصلاة من تأثير كبير ، على الصحة النفسية والطاقة الروحية للإنسان .

يقول : « فالصلاة كما يجب أن تفهم ، ليست مجرد ترديد آلي للطقوس ، ولكنها ارتفاع لا يدركه العقل ، إنها استغراق الشعور في تأمل مبدأ يخترق عالمنا ويسمو عليه .. إن الشخص المتجرد من حب متاع الدنيا ، يشعر بالله بمثل السهولة التي يشعر بها بحرارة الشمس أو بعطف أحد أصدقائه عليه . .إذ يقدم الإنسان نفسه فيها لله ، فيقف أمامه كما تقف اللوحة الفنية أمام الرسام ، والتمثال أمام النحات ، وهو يطلب منه ﷻ أن يسبغ عليه رحمته ، ثم يكشف له [1] ﷺ عن مطالبه ومطالب إخوانه » [2] .

ويقول صاحب كتاب [قوة عقلك الباطن] وهو من الكتّاب المحدثين المعاصرين : « هل تعرف كيف تصلي بصدق وما المدة التي تقضيها عندما تفعل ذلك كجزء من نشاطك اليومي .. لاشك أن الدعاء والصلاة يمثلان مساعدة موجودة دائمة ، تلجأ إليها وقتما يشتد عليك الكرب ، ولكن لا يجب عليك أن تنتظر وقوع البلاء ،

(١) الصواب : لله سبحانه .

(٢) الفصل الرابع الفقرة ٨ (ص١٧٠) من كتابه المذكور أعلاه .

لتجعل الدعاء والصلاة جزءًا من حياتك »[1] .

ونحن لا نستشهد بأقوال هؤلاء القوم لنقتنع بإسلامنا وفريضته الكبرى ، وإنما لندرك عمق الفهم لأثرها العظيم ، بشهادات العقلاء من كل جهة ، على مبدأ وذلك ليطمئن قلبي ، فهلا عرفت فإذا عرفت فالزم .

٩ - الإعلام ووسائل الاتصال :

لوسائل الإعلام والاتصال ، من تلفزيون وقنوات فضائية ، وكمبيوتر وإنترنت ، وهاتف ثابت ومحمول ، تأثير كبير على تشكيل الرأي العام ، وتكوين الاتجاهات والميول لدى الأبناء ، فإذا غاب الرقيب والموجه في البيت والأسرة ، ربما وقع الأبناء فريسة لسلبيات هذه الوسائل والوسائط ، فافتقد الأبناء التوازن المطلوب ، فاشغلوا أنفسهم فيما لا طائل من ورائه ، غير الشتات والضياع ، فهدروا الأوقات وقتلوا الطاقات وأهملوا الواجبات ، وكم من طالب جاء إلى المدرسة في الصباح ، والنعاس يغالبه والكرى يداعب أجفانه ، فهل نحيل هذه النعم إلى وسائل نقم ، فيصبح أبناؤنا بتقصيرنا ،كالتي نقضت غزلها بيديها ، إلا إذا رشَّدنا استعمال هذه الوسائط ، في خير حاضرهم ومستقبلهم .

(١) د. جوزيف ميرفي ط/٣ ترجمة مكتبة جرير .

١٠ - غياب النموذج وافتقاد القدوة :

من أعظم المخاطر التي يتعرض لها أبناؤنا ، التجاذب بين النماذج (البطل ، القدوة ، المثال) المعروضة على أذهانهم بسن مبكرة ، عن طريق وسائل الإعلام ، وفي غالبيتها نماذج غربية مستوردة ، والنموذج المطلوب الذي نعرضه تلقينًا ، بشكل مجرد باهت بعد فوات الأوان ، لا يحظى بالقَبول ، لأن وسائل الإعلام تتلقف الأبناء مبكرًا ، في السنوات الست التي تسبق المدرسة ، فتحجز مقاعد أذهان وعقول الأبناء ، في تشكيل ميوله وتحديد مثاله وبطله المحبوب غالبًا ، مع غياب كامل عن تحمل مسؤولية تقديم النموذج الصحيح ، بالصورة الجميلة والوقت المناسب .

ويبدأ الأبناء مع تقدم قدراتهم المعرفية ، في تدعيم النماذج الأولى ، وهي في الغالب نماذج خرافية أو خيالية ، (السوبرمان البوكيمون الديجيتل سندريلا ... إلخ) بنماذج أخرى عالمية لا يمكن توظيف الاقتداء بها في النجاح ، بسبب تعارض سلوكياتها اليومية ، مع حضارتنا وقيمنا وتراثنا ، الذي نتلقاه في مناهجنا المدرسية والتربوية ، وبهذا يتشتت الأبناء بين مثل مزخرفة سبقت ، ومبادئ وقيم لاحقة وردت ، الأولى تدعم في وسائل الإعلام صباح مساء ، والأخرى يمثلها أمل بعيد ، وحاضر مرير ، وواجبات شاقة ، وقيم صارمة بسبب عدم تبني المجتمع لها وافتقارها

إلى الدعاية اللازمة الضرورية .

رابعًا : - ردود فعل الأبناء تجاه الضرب :

بناء على نتائج الاستبانة ، نجد أن استجابات الأبناء تجاه عقوبة الضرب مختلفة ، وبعضهم على طرفي نقيض ، فمنهم من يعتبرها عقوبة عادلة ، ومنهم من يعتبرها عقوبة ظالمة ، وعلم النفس التربوي يرصد لنا استجابات متعددة تجاه هذه العقوبة .

١ - الاستجابة الإيجابية وكف المخالف :

استجابة المعاقب بامتناعه عن المخالفة التي كان يقوم بها قبل العقوبة ، هي المقصودة بهذه العقوبة ، بناء على توقع المعاقب تكرار العقوبة بتكرار الفعل ، فيعدِّل من سلوكه استبعادًا للعقوبة أولًا ، ورغبة بالحصول على الثواب المرغوب ، من جراء الفعل الإيجابي الذي يقوم به ثانيًا ، وكلما كانت العقوبة مؤثرة ، وقريبة من الفعل المكفوف ، كلما كانت الاستجابة جيدة ، وخاصة إذا أرفقت بالتبرير المناسب والمقنع ، مع الوعد بالثواب في حال الإصلاح ، وكلما كانت العقوبة متأخرة عن الفعل ، وغير مؤثرة ، كلما فقدت فاعليتها في كف الفعل السلبي غير المرغوب .

٢ - التكيف مع العقوبة :

تكيف المعاقب مع العقوبة يكون بناء على أنها غير مؤثرة ،

فيتولد لديه استعداد لتحمل ما هو أشد منها ، وبالتالي ليتحقق له هذا الاستعداد ، يسترسل في تكرار الفعل السلبي المعاقب عليه في المرة السابقة ، ولذا يقول صاحب كتاب سيكولجية التعلم : « لا ينبغي زيادة شدة العقاب تدريجيًا ، فقد أوضحت البحوث .. أن الكائن الحي يميل إلى التكيف مع كل مستوى لاحق من مستويات العقاب » (١) .

٣ - التحدي والتمرد والعناد :

التحدي استجابة نفسية سلبية للعقاب ، تدفع بالأبناء بعيدًا عن الجو التربوي المطلوب تعزيزه ، وبالتالي يكون رد فعل المعاقب عكسيًا ، فيزيد من سلبيته ويقصر أكثر في واجباته ، ليثبت ذاته من ناحية وأنه قادر على فعل ما يريد من ناحية أخرى ، وفي هذه الحالة يعتبر الاستمرار في العقوبة لا نفع له على الإطلاق ، والمطلوب التوقف الفوري عنه ، وهذا يؤدي إلى شعور المعاقب بالانتصار والفخر ، لكن هذا يدل على أن قرارنا بالعقوبة كان خاطئًا ، وخاطئًا جدًا .

٤ - العقاب النفسي للذات :

يبدأ المعاقب بلوم نفسه على ما فعل ، وينكفئ على شخصيته بلوم صفاتها ، ويستحضر تقصيره في كل مرة مناسبة لظروف الفعل ، ويستجيب للعقوبة ظاهريًا ، إلا أنه

(١) د. أرنوف وينينج أستاذ علم النفس بجامعة بول الأمريكية .

يستحضرها مع كل فعل مناسب لنفس الظروف ، فيعيش حالة إحباط نفسي دائمة ، وإن تقدم من الناحية العلمية والسلوكية ، إلا أن انعكاس العقوبة على شخصيته ، يكون انعكاسًا سلبيًا جدًا ، وبالتالي أي تحسن علمي وأخلاقي ، ليس بالضرورة أن يرافقه تحسن نفسي ، وقد يرافق ذلك فيما بعد ردة فعل سلبية كبيرة ، تؤدي إلى تقهقر تحصيلي وأخلاقي ، إلا أن الغالب في مثل هذه الحالة ، أن يكون التقهقر فقط في ناحية السوية النفسية ، وقد تتطور هذه الاستجابة ، مع عوامل أخرى واستعدادات وراثية ، إلى عقاب العصاب ، أو عقاب الذهان ، فليتنبه إلى ذلك المربون وخاصة الوالدين ، لأن الأبناء يتوقعون منهم المثالية في الشفقة والعطف والرحمة .

٥ - الاستجابة العقلية التمثلية والاقتداء :

الاستجابة الكاملة للعقوبة تنبني على تقبلها فكريًا ، ولكن خطورتها بأن تتحول في ذهن المعاقب إلى اعتقاد ، بناء على الاقتداء بالوالدين والمعلم ، وخطورة هذه الاستجابة هو في تحولها إلى فكر عنفي واعتقاد ، في عقلية الأبناء غير الناضجين ، فيطبقونها مع الأخوة والأخوات والأصدقاء في الحاضر ، ومع أبنائهم بشكل مغال في المستقبل ، وتتحول إلى مشكلة سلوكية ، مع أنها بالأصل عمل تربوي ، وتمحو بها صفات التسامح والرأفة والعفو

والحلم ، وغيرها من الصفات الحسنة المطلوبة ، يقول د . علي أسعد وطفة : « إن استخدام العنف في المدرسة ، يبرر لاحقًا للطالب نفسه الذي يصبح معلمًا فيما بعد شرعية العنف كقيمة تربوية »[1] .

ويظهر لنا من خلال هذه الاستجابة ، أننا بينما كنا نكف عملًا سلبيًا ، قمنا بكف صفات إيجابية أخرى بشكل غير مقصود ، وتعزيز صفات سلبية معاكسة لها ، فأسأنا من حيث أردنا الإحسان ، وهذا كله يوجهنا إلى الحذر الشديد ، أثناء استخدام العقوبات البدنية مع أبنائنا فلذات الأكباد .

خامسًا: - عقوبات غير بدنية أشد من الضرب :

ومن الكلام ما هو أشد من الحسام ، فإن جرح الشفرة يلتئم ، وجرح اللسان لا يلتئم ، والسبب في ذلك أن الأول موضعي يزول بأيام معدودة ، والثاني يختزن في ذاكرة لا تنمحي خلاياها ولا تتجدد ، بل ربما نسجت المشاعر حوله آلامًا نفسية ، تدعمها الأيام وتؤكدها الأحداث ، ولهذا بدأ الوحي بالكلمة الواعية ، لاجتناب الخطأ في الحكم والزلل في العمل ، ولهذا كان لبعض الكلمات وقع العقوبات ، ولئلا نوقع عقوبة غير مقصودة بالكلمة ، ندعو إلى تحري مفردات

(١) أستاذ علم الاجتماع التربوي في جامعة دمشق في كتابه إشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي (ص٥١) .

أحاديثنا وحواراتنا ، لئلا تكون مفاتيح غضب ، لمن نحب من أبنائنا وطلابنا وأحبابنا ، ومن أجل ذلك نطرق هذا الباب .

١ - عبارات تمس بناء وتكوين الشخصية :

« لعل أهم حاجات الطفل هي حاجته إلى المحبة ، أن يُحَب وأن يُحِب ، لأنها تنم عن حاجته إلى العطف والرعاية ، ومن هنا كانت مهمة التربية الأولى في العائلة ، أن تكون مصدر حب ومنبع عطف ومكان أمان ، والحق أن الكثير من الدراسات التربوية الحديثة ، ردت العديد من الاضطرابات العقلية والنفسية عند الطفل ، إلى افتقاده المحبة وحاجته إلى العطف ، .. ليكون سوي العقل والإرادة والتصرف »[1] . ولذا فإن الكلمات والعبارات القاسية ، التي تمس بناء وتكوين الشخصية ، لها تأثير سلبي كبير على نفسية الأبناء ، تقوض نظرة الطفل والشاب (ذكرًا أو أنثى) إلى شخصيته ، وتحطم بناءها الداخلي ، خاصة مع تكرار العبارات السلبية ، مثل : أنتَ وأنتِ ولد سيء ، وكسول ، وضعيف ، ومشاغب ، وغبي ، وراسب ، ولا تفهم ، ولا تعي ، ولا تعرف مصلحتك ، .. وغيرها من العبارات المماثلة لذلك .

٢ - عبارات تمس البناء الاجتماعي :

الانتماء الاجتماعي أحد مقومات بناء الشخصية ،

(١) د. فاخر عاقل في كتابه معالم التربية (ص٦٢) .

والشعور السليم تجاهه أحد مقومات السعادة ، وهو المجال الحيوي لدافعية النمو النفسي والتربوي السليم عند الإنسان ، ومس هذا الانتماء يضر بكل هذه الجوانب ، لذا كانت مفردات وعبارات مثل : يا أسود ، يا عبد ، يا ذليل ، يا فقير ، يا بن (المهنة الفلانية) يا فلاح ، يا بدوي ، يا وافد ، يا كذا (لعشيرته) ويا كذا (لجنسيته) وأمثالها كثير ، له تأثير مدمر على نفسية الصغار خاصة ، وربما بعض الكبار كذلك .

٣ - عبارات تمس احترام وتقدير الذات :

عبارات كثيرة لها تأثير سلبي كبير على ردة الفعل التربوية ، والتي تبدأ بـ (أنتَ وأنتِ) وتعقبها صفة غير حميدة ، أو توجه الخطاب بصيغة الأمر والنهي المباشرين ، وفي كلا الأسلوبين حرمان لأبنائنا من المبادرة الذاتية في تنمية الشخصية ، والشعور بالحرية في أداء الواجب ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

لا تقل	وقل
أ - أنت مخطئ ، أو على خطأ .	- ما رأيك فيما صنعت ؟
ب - أنت دائمًا لست على صواب .	- كيف أتمكن من مساعدتك ؟
ج - أنت مشاغب .	- ما المشكلة ؟ كيف أنصحك ؟
د - لماذا تحدث هذه الضوضاء ؟	- ما الذي يزعجك حقًّا ؟
هـ - لماذا أنت غاضب ؟	- ما الذي يغضبك ؟
و - أيها التلاميذ أنصتوا إليَّ .	- هل بإمكانكم الإنصات إليَّ ؟
ز - لا تحدثوا فوضى أو إزعاجًا .	- الفوضى والثرثرة تسبب إزعاجًا .
ح - افتح كتابك على الدرس .	- بإمكانكم فتح الكتاب على الدرس .
ط - التقط كتابك من الأرض .	- كتابك على الأرض .
ي - لا تتحدث مع زميلك .	- حديثك يشغلك عن الدرس .
ك - اكتبوا الواجب وحلوه .	- بإمكانكم حل الواجب .
ل - ذاكروا الاختبار المقرر .	- مذاكرتكم الاختبار فيه النجاح .
م - لا تحدثوا ضجيجًا .	- الضجيج يمنع فهم الدرس .
ن - أغلق الباب .	- لو يُغلق الباب .
ص - احفظوا النص المقرر .	- حفظكم النص المقرر قوة إرادة .

وقس على ذلك في اجتناب الأوامر المباشرة ، إلى الصيغ الدالة على اتخاذ القرار الذاتي ، والرغبة الشخصية في القيام بالواجب ، ليكون الكلام والحديث موجهًا إلى اختيار الموقف المناسب ، لأن هذه الطريقة تعلم المشاركة ، وتحمي الشخصية من الشعور بالتبعية والانقياد ، وفرق كبير بين الأسلوبين في التعبير .

ولئن وجدنا بحوثًا كثيرة حديثة ، تؤيد هذا الأسلوب الراقي في التعامل مع الأبناء ، لا يعتبر هذا مستغربًا على أصولنا الحضارية ، ويمكننا أن نستشهد على ذلك بالحديث الذي رواه الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما عن أنس ﷺ قال : خدمت رسول اللّه ﷺ عشر سنين فما قال لي : أفٍّ قط ، ولا قال لشيء فعلتُه لم فعلتَه ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ؟

٤ - عبارات تمس احترام الجانب الوجداني :

باعتبار التكريم الإنساني تكريم إلهي ، لا يجوز البتة مس هذا التكريم ، بأي لون من ألوان الإساءة ، حتى وإن كانت خيالية ومستحيلة ، فلا يصح أن يشبه الإنسان بالحيوان ، كأن يقال : يا قرد ، يا مسخ ، يا حيوان ، يا حمار ، يا كلب ، يا خنفس ، يا صرصور ، يا جعل ، وأمثالها .

ولا أن يشبه بالأشياء المبتذلة ، مثل أن يقال : يا حنتور ،

يا مزراب ، يا قفل ، يا مفتاح ، يا مسمار ، وأمثالها ، فهذه النداءات والعبارات تمس مشاعر الإنسان الوجدانية ، لشعوره بإنسانيته المكرمة ، وقد تدفع الإنسان مع الأيام إلى الشعور بالدون ، ومن ثم تؤدي إلى الانحطاط الأخلاقي ، وضمور الشعور الوجداني .

يقول صاحب كتاب المربي والطفل : « إن عملية نعت الأفراد محظورة على المعلم ، إنها تعلم الطفل عادة سيئة ، إنها تخلق شعور الاستياء والامتعاض ، إن الطفل غالبًا ما يرى نفسه من خلال رؤية معلمه ، إن ما يقوله المعلم عنه يترك آثارًا خطيرة » [١] .

٥ - عبارات تمس احترام العقل والقانون :

الإنسان يولد على الفطرة ، وبيئته تعلمه احترام الأعراف والقوانين ، ويشكل ذلك توازنًا عقليًا معينًا داخل إطار الجماعة ، لتتناسق متطلبات الفرد مع حاجات الجماعة ، ويحدث حينما يتعرض الفرد في سني نشأته ، إلى الخروج على الأعراف والقوانين ، نتيجة تعرضه لصراعات أو تربية مغلوطة ، أن يتحطم هذا المثال من الأعراف والقوانين ، إلى غير بديل صحيح ، فيختل التوازن العقلي في تبادل المصالح بين الناس ، وتهدر قدسية القانون ، فيتحول الإنسان إلى ما

(١) د . هايم جينوت ترجمة د . سعد جاسم يوسف الهاشل (ص٦٨) .

يشبه الحيوان المفترس ، ويساعد على ذلك مثل عبارات : يا مجرم ، يا لص ، يا وحش ، يا فوضوي ، يا متهور ، يا خائن ، وبالطبع إذا أحيط بالإنسان بيئة حقيقية بهذه النماذج ، فتصبح هذه العبارات ذات مدلول حقيقي ، في التوجيه إلى أمثال هذه السلوكيات الخطيرة ، ويفقد بالتالي التوازن في احترام العقل والشريعة والقانون .

* * *

الخلاصة

أن العقوبات البدنية بالصورة التقليدية في عالمنا العربي ، لم تعد صالحة كعقوبات تربوية ، وبناء عليه بدأت نظرة المعلمين الشباب في تغيير نظرتها إلى هذه الوسيلة ، ومواكبة العصر في تطوره وتقدمه ، بما يتلاءم مع حرية الإنسان وكرامته .

« ولقد دلت الملاحظة ، وذلك في أعلى المستويات العلمية ، أن المدرسين الشباب يتميزون بدرجة عليا من الحماس ، لممارسة وتطبيق أحدث النظريات التربوية ، ولكنهم سرعان ما يتخلون عن أفكارهم ، تحت تأثير مطارق الثقافة المدرسية التي تعزز العنف وتقوم عليه » [1] .

ويؤكد هذا دراسات تربوية أجريت مؤخرًا ، في أكثر من قطر عربي ، ومنها دراسة أقيمت في محافظتي طرطوس والقنيطرة ، في القطر العربي السوري ، على ٦٥٠ طفل وطفلة من الصف السادس الابتدائي ، بعمر ١٠ - ١١ سنة ، وإليك بجدول البحث ، الذي يوضح نسبة تعرضهم للضرب من قبل الآباء والأمهات :

(١) د . علي أسعد وطفة في كتابه إشكالية التسلط التربوي (ص٥٢) .

المحافظة	أطفال طرطوس		أطفال القنيطرة	
الوالد	الأب	الأم	الأب	الأم
ضرب الذكور	٧٠,٤٪	٩٢,٧٪	٧٧,٣٪	٦٨,٦٪
ضرب الإناث	٥١,٣٪	٩٤,٧٪	٥٥,٨٪	٩٢,٨٪
المجموع	٥٨,٩	٩٣,٩٪	٦٥,٧٪	٨١,٦٪

ومن الجدول يتبين أن الأمهات تلجأ إلى أسلوب الضرب بدرجة عالية جدًا ، وأكبر من الآباء ، في كلا المحافظتين ، سواء أكان الأمر يتعلق بالإناث أم بالذكور [١] .

ويتحدث بوعلي ياسين عن النظام التعليمي في سوريا قائلًا : « طريقة القمع والكبت متوارثة في النظام التعليمي في سوريا ، وهي تحظى بتأييد وترحيب الأهالي والمعلمين ، وبالتالي فإن هذه الطريقة ، امتداد للتربية التسلطية في البيت ، وللعلاقات الاضطهادية في المجتمع والاقتصاد [٢] .

وليس هذا الأمر مقصورًا على سوريا وحدها ، بل هو ابتلاء عام في البيئة العربية عمومًا ، يقول علي خليفة الكواري : « إن النظام التربوي لدول (الخليج) يغرس ويؤكد روح الاستسلام والطاعة والسكوت عن الخطأ وتقبل

(١) د . علي أسعد وطفة في كتابه إشكالية التسلط التربوي (ص٥٤) .
(٢) كتاب على دروب الثقافة الديمقراطية (ص٢٠٦) .

الرأي الآخر دون اقتناع » [1] .

وتشير دراسات أخرى مماثلة ، في كثير من أقطار البلاد العربية كمصر ، وتونس ، والأردن ، وغيرهما إلى النتائج نفسها ، ويقول مؤلف كتاب إشكالية التسلط التربوي : « تكاد تجمع الدراسات الجارية أن الأسرة العربية تركن إلى أسلوب التسلط » [2] .

والدراسات تشير إلى قوة عاطفة الأمومة عند المرأة العربية ، إلا أنها عاطفة منحرفة عن طريقها الصحيح ، لعدم صقلها بالثقافة الأسرية الصحيحة ، مما ينتج عنها سلوكيات متشددة ، أو مغالية تعويضية ، نتيجة عدم مشاركتها بفاعلية ، في تشكيل وبناء الأسرة ، يقول مصطفى حجازي : « حب الأم العربية لأبنائها ، بكل ما يتميز به من حرارة عاطفة الأم العربية ، يغلب عليه الطابع التملكي ، .. فتفرض هيمنتها العاطفية على أطفالها ، وتشل في نفوسهم كل رغبات الاستقلال [3] .

وعلى الرغم من كل النتائج السلبية ، الناتجة عن التسلط التربوي ، في تحطيم الشخصية لدى أبنائنا وطلابنا ، فإن هناك نتائج أخرى لا تقل ضررًا عنها ، تنعكس آثارها على الجميع كما بينت في أكثر من موضع من كتابي هذا ،

---

(١) كتاب نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة (ص٨٨) .

(٢) (ص٥٧) .

(٣) كتاب إشكالية التسلط التربوي (ص٢٥) .

وأذكر أخيرًا بعض هذه النتائج نقلًا عن صاحب كتاب إشكالية التسلط التربوي إذ يقول : « إن الإسراف في توظيف السلطة لا يقوم فحسب في مستوى العنف والعقاب بل يمكن لهذا الإسراف أن يتجلى في مظاهر عديدة مثل الصرامة في المراقبة ، والحساسية المفرطة عند الوالدين ، والنزعة في إعطاء الأخطاء البسيطة [1] طابعًا مأساويًا خطيرًا » [2]، وهذا يعكر جو الأسرة المدرسية والبيتية ، وبالتالي يعطل النمو التربوي السليم ، والعلاقات الاجتماعية والنفسية الصحية .

* * *

(١) الصواب : اليسيرة .

(٢) في كتابه معالم التربية (ص٣٣٦) .

خاتمة

بعد هذا البحث والتنقيب ، في مصادرنا ومراجعنا الفقهية والإسلامية ، عن موضوع بحثنا : التأديب التربوي عمومًا ، والضرب التأديبي خصوصًا ، لوضعه في إطار محاولة صياغة نظرية متكاملة ، عن الثواب والعقاب التربويين ، في إطار إعادة اللحمة بين عالم الروح والجسد ، التي فَصَل ديكارت بينهما بثنائيته ، بينما يجب علينا أن نعطي الإحساسات الشعورية أهمية تعادل أهمية علم الحركة ، كما يقول الكسيس كاريل [1] : « ، وهذا التفكير الجديد سيهز فن التعليم ، والطب والصحة وعلم الاجتماع هزًّا عنيفًا ، يعيدنا إلى دراسة الوظائف الأدبية والجمالية والدينية ، كدراسة الرياضيات والطبيعة والكيمياء ، وحينها سوف تبدو وسائل التعليم الحالية سخيفة ، وسيضطر علماء الصحة إلى الاهتمام بالصحة الروحية ، إلى جانب اهتمامهم بالصحة البدنية ، بل سيُسألون لماذا يعزلون الذين يتسببون بالأمراض العضوية ، دون الذين يتسببون بأمراض الفساد والإجرام والجنون ، وكما أننا درسنا معطيات العلوم المادية ، فنحن

(١) طبيب فرنسي ولد عام ١٨٧٣م عمل في معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك ثلاثين عامًا منح جائزة نوبل لأبحاثه الطبية ١٩١٢م أنقذ أرواح آلاف الناس في الحرب العالمية الأولى وكتابه هذا من أعظم ما كتب توفي ١٩٤٤م .

بحاجة لدراسة الأحلام والشهوة ، والتأثيرات السيكولوجية للصلاة ، وكما أننا لم ننجح باستبدال الروحي بالمادي ، فكذلك لا نجاح باستبدال المادي بالروحي ، فكلاهما يشكلان الإنسان لا أقل ولا أكثر » [1] .

وبما أن لولي الأمر أن يوقف العمل بأمر غلبت مفسدته على مصلحته ، أو أسيء استخدامه ، بشهادة الشهود والدليل والبرهان ، ولتغيُّر الأحكام بتغير الأزمان ، فيما ظهر أن مصلحته مرجوحة على مفسدته الراجحة ، فإن لوزارة التربية والتعليم ، أن تصدر قرارها بمنع استخدام الضرب ، كوسيلة عقاب مدرسي في مدارسها ، حفاظًا على سلامة الأبناء النفسية والتربوية ، وسلامة المعلمين المنتسبين إليها ، من أن يقعوا تحت طائلة المسؤولية ، أو الاتهام بالفشل التربوي ، في عصر كثرت فيه التجاوزات بكل صورها ، وعلى كل صعيد .

والمأخذ الوحيد على قرار منع الضرب ، أنه جاء منفردًا ، دون أن يوضع في إطار البدائل التربوية الكثيرة ، التي ينصح بها المربون في تربية النشء ، لمراعاة الفوارق الفردية ، تجاه العملية التربوية التعليمية ، بكل جوانبها وحيثياتها ، لذا كان بحثي هذا ، تمهيدًا لمحاولة فتح الطريق ، أمام صياغة نظرية الثواب والعقاب التربويين ، بما يتلاءم وظروف أمتنا ،

(١) في كتابه الإنسان ذلك المجهول (ص٣١٧) .

وأحوال مدارسنا ، وتطلعات أبنائنا ، وآبائهم ومعلميهم ، في بزوغ فجر غدٍ حضاري مشرق ، لأمتنا العظيمة . .. والله من وراء القصد ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

مراجع البحث

١ - القرآن الكريم ، ط/ مصحف المدينة .
٢ - تفسير القرآن الكريم ، لابن كثير .
٣ - التشريع الجنائي في الإسلام ، عبد القادر عوده .
٤ - قواعد الأحكام ، عز الدين بن عبد السلام .
٥ - المشكلات السلوكية عند الأطفال ، د . نبيه الغبرة .
٦ - منهج التربية النبوية للطفل ، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد .
٧ - تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الحافظ الكبيسي .
٨ - تهذيب الأخلاق ، لابن مسكويه .
٩ - الإنسان ذلك المجهول ، د . الكسيس كاريل .
١٠ - أحكام القرآن ، للجصاص .
١١ - العلاج الإسلامي لانحراف الأحداث ، د . محمد سلامة محمد غباري .
١٢ - أسباب جنوح الأحداث Travis Mhirschi . ترجمة د . محمد سلامة غباري .
١٣ - هكذا نربي أولادنا ، للقاضي حسن العشماوي .
١٤ - الثواب والعقاب في التربية ، محمود ماهر زيدان .
١٥ - التربية في العائلة (زلات الوالدين) ، فيلكس توما .

١٦ - التدريس والصحة النفسية ، د . عمر بشير الطويبي .

١٧ - الصحة النفسية ، نعيم الرفاعي - جامعة دمشق .

١٨ - الإسلام بين الشرق والغرب ، علي عزت بيكوفيتش .

١٩ - الأذكار ، يحيى بن شرف النووي .

٢٠ - بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي علي أسعد وطفة .

٢١ - قرص CD المحدث إصدار ٨ ، ٦٥ ، دار الحديث النبوي الشريف بدمشق .

٢٢ - علم النفس التربوي ، ترجمة د . إبراهيم حافظ ومحمد عثمان .

٢٣ - علم الاجتماع التربوي ، د . علي أسعد وطفة .

٢٤ - آبـاء وأبنـاء ، كامل بنقسلي وخالد قوطرش .

٢٥ - أساسيات علم النفس التربوي ، د . محيي الدين توق وعبد الرحمن عدس .

٢٦ - علم النفس التربوي وتطبيقاته ، د . محمد عبد اللّه البيلي .

٢٧ - تطور الفكر التربوي الإسلامي ، د . فيصل الراوي رفاعي .

٢٨ - التربية في الإسلام النظرية والمنهج ، د . عدنان علي رضا النحوي .

٢٩ - معالم التربية ، د . فاخر عاقل .

٣٠ - تطور الفكر التربوي ، د . سعد مرسي أحمد .

٣١ - كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم ، معروف زريق .

٣٢ - قوة عقلك الباطن ، د . جوزيف ميرفي .

٣٣ - سيكولوجية التعلم ، أرنوف ويتيج .

٣٤ - علم النفس التربوي في الأسرة ، د . محمد خليفة بركات .

٣٥ - المربي والطفل ، د . هايم جينوت .

٣٦ - تعديل السلوك الصفي أ . د محمد زياد حمدان .

٣٧ - مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون .

٣٨ - الأمد الأقصى ، القاضي عبد الله بن عمر الدبوسي .

٣٩ - شمس العرب تسطع على الغرب ، المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه .

٤٠ - في مسيرة الحياة ، أبو الحسن علي الحسني الندوي .

٤١ - تاريخ التربية الإسلامية ، د . أحمد شلبي ،

٤٢ - أزمة التعليم المعاصر ، أ . د . زغلول راغب النجار .

٤٣ - من أساليب الرسول ﷺ في التربية ، نجيب خالد العامر .

٤٤ - العلم والقيم الإنسانية ، ج . برونوسكي ترجمة د . عدنان خالد .

٤٥ - العقل المسلم والرؤية الحضارية ، د . عماد الدين خليل .

فهرس المحتويات

السيرة الذاتية للمؤلف



- محمد نبيل كاظم .
- أهلية تعليم (دار المعلمين بحلب) ١٩٧٠م .
- إجازة في الشريعة (جامعة دمشق) ١٩٧٤م .
- ثلاث سنوات فلسفة (جامعة دمشق) ١٩٧٨م .
- ماجستير دراسات إسلامية (جامعة البنجاب) ١٩٨٤م .
- خمس وثلاثون سنة تدريس .
- سبعون دورة تدريبية تربوية مختلفة .
- دبلوم NLP برمجة لغوية عصبية ٢٠٠٤م .
- له خمس كتب تربوية .
- له مشاريع خمس كتب أخرى .
- إلقاء دورات في التنمية البشرية ومتعة العقل (سلسلة التفكير الناجح) .
- أحلام وأهداف أخرى كثيرة (إن شاء اللّه تعالى) .
- البريد الإلكتروني :

mnkazem@yahoo.com.

* * *

رقم الإيداع

٢٠٠٦/٤٠٥٩

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 342 - 360 - 3



الكتاب في سطور

ينبغي أن توضع طفولة الإنسان إلى سن البلوغ والرشد في إطار من التنشئة على طيب الطعام وطيب الكلام ، أي تغذية الجانبين المادي والروحي بأطهر وسيلة وأطيبها ، فالطفل ليس من أهل التكليف شرعًا ، وبالتالي ليس من أهل الثواب والعقاب بالمعنى الأعم ، إلا بشكل محدود في إطار التهيئة والتربية.

الناشر








www.ibtesama.com